

إقرأ في هذا العدد

- هل كان التشيّع في زمن النبي صلى الله عليه وآله؟
- اليماني في روايات أهل البيت عليهم السلام
- الغيبة عدم الظهور وليس عدم الحضور
- الفرق بين النبي والإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشراف العام / رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

الشيخ محمد فاضل محمد

التدقيق اللغوي

أ.خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني

السيد علي ماميثة



إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢

موقع العتبة www.imamhussain.org

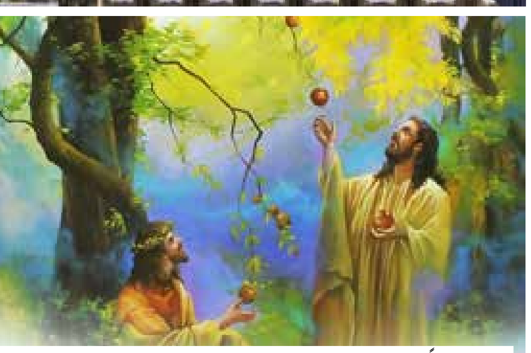
موقع القسم www.imamhussain-lib.org

بريد القسم info@imamhussain-lib.org

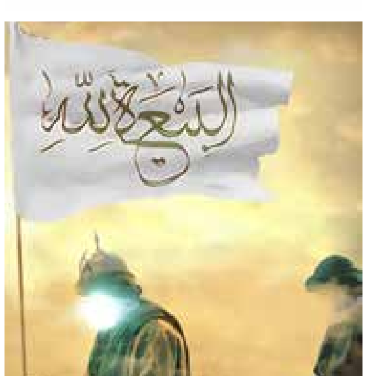


٤-الإصلاح.. حسينياً

١٠- التوكّل وحقيقته



٧- هنيئاً للشيعة

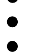


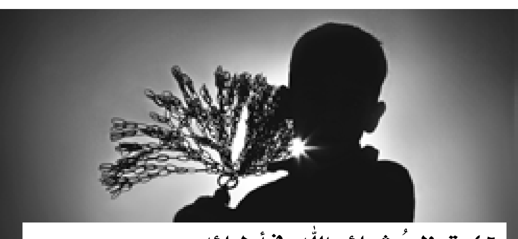
١٨-اليماني في روايات ...



١٤- أخلاق الحسين عليه السلام

٢٢-السفياني، من هو؟ وأين يخرج؟ وكم يحكم؟ وما هو موقفنا منه؟





٤٦-تعظيمُ شعائر الله في أوليائه



٣٦- لا جبر ولا تفويض

٥٢- الإمام السجاد عليه السلام ورسالة الحقوق

لا تؤذوا النبي صلى الله عليه وآله



لا شك أن المسلمين يحبون رسول الله صلى الله عليه وآله ويعظمونه ويوقرونه، ويحرصون على إدخال السرور على قلبه، فلا يفكر أحد أن يؤذي النبي صلى الله عليه وآله إلاّ من حرم من التوفيق الإلهي، ولا تجد عاقلاً يريد إدخال الحزن على قلبه الشريف، فلذا سيقول القارئ الكريم عندما يقرأ عنوان الكلمة، ما هذا العنوان الاستفزازي؟ ولماذا جعله الكاتب خطاباً ناهياً مطلقاً دون قيد أو تخصيص؟

الجواب سيكون كما يلي:

أولا: لم يكن النهي موجها لكل أحد، بل هو موجه إلى من لم يهتم بمقام النبي صلى الله عليه وآله ومن لم يعرف حقه على الأمة.

ثانيا: إذا وجدنا في الأمة من يناصب العداء لآل النبي صلى الله عليه وآله فهل هذا ممن يؤذي النبي صلى الله عليه وآله ويحزنه؟ الجواب: نعم هو كذلك.

ثالثا: إذا وجدنا في الأمة من يعصي الله تعالى وهو يعلم أن الأعمال ستعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله في كل اثنين وخميس من الأسبوع، فهل هذا ممن يؤذي النبي؟ الجواب: نعم هو كذلك.

ولكي يتأكد القارئ الكريم من أن الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته صلوات الله عليهم نذكر ما يشير إلى ذلك وهو كما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[(٢)].

٣- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٣)].

٤- عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فمن مستغفر فيغفر له، ومن تائب فيتاب عليه، ويرد أهل الضغائن بضغائنهم حتى يتوبوا)[(٤)].

٥- عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (إن أعمالكم تعرض عليّ كل يوم، فما كان من حسن استزدت الله لكم، وما كان من قبيح استغفرت الله لكم).

٦- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إن أعمال العباد تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروا فليستحِ أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح).

وهناك رواية تتضمن هذا المعنى أيضا وهو أن الإمام الصادق عليه السلام خاطب جماعة قال لهم (ما لكم تسوءون رسول الله)، قالوا: كيف نسوء رسول الله وهو ليس معنا، فأجابهم (بأعمالكم القبيحة التي تعرض عليه).

فإذن علينا الحذر قدر المستطاع من أن نؤذي نبي الرحمة صلى الله عليه وآله.

ثالثا: وإذا وجدنا من يؤذي المؤمنين فهو لا شك ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله كما في الحديث الشريف: (من آذى مؤمنا فقد آذاني)[(٥)].

---

(١) التوبة: ١٠٥.
(٢) التوبة: ٩٤.
(٣) البقرة: ١٤٣.
(٤) ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٣٧.
(٥) ميزان الحكمة: ج١، ص٨٩.

بقلم: نزار حيدر



الإصلاح.. حسينياً

قال الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: «خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي»؛ هي كلمة السر في خروج الإمام السبط عليه السلام الحسين بن علي ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عندما حصر فلسفته ورؤيته وعلة نهضته بقوله في وصيته التي تركها في المدينة المنورة عند أخيه محمد ابن الحنفية «وإنما خرجت لطلب الإصلاح».(بحار الأنوار:٤٤/٣٢٩)

فكيف ولماذا ومتى يتحقق الإصلاح في الأمة؟

أولاً

إنّه يُطلب ولا يَطلب، فالأمة التي تسترسل مع الخطأ أو يتراكم عندها الانحراف بانتظار من يصححه لها، بفعل خارجي أو بمعجزة من السماء، ستدفع ثمن التصحيح غالياً جداً، ولذلك حذر الإسلام من (محقّرات الذنوب) داعياً إلى الانتباه لها وهي بعد صغيرة جداً، لأنّ تركها تكبر وتكبر ستفرض على العبد ثمناً غالياً إذا أراد أن يصححها.

فقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «إنّ إبليس رضي منكم بالمحقّرات». (النوادر:١٧)

وعن سيد الوصيين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أعظم الذنوب عند الله ذنب صَغُر عند صاحبه». (عيون الحكم:١٢٣،ح٢٨٠١)

وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «لا تستقلّوا قليل الذنوب فإنّ قليل الذنوب تجتمع حتى تكون كثيراً». (الكافي:٢/٢٨٧،ح٢)

أمّا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فيقول: «الصغائر من الذنوب طرق إلى الكبائر، ومن لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير».(عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/١٨٠)

إن الإصلاح تبادر له الأمة، فلا تنتظر من يقدمه لها على طبق من ذهب، وإنّ أكثر من يفكر به هم أصحاب الهمم العالية والرؤية الثاقبة، الصادقون مع أنفسهم ومجتمعهم، الحريصون على الصالح العام، ممن لا تستهويهم أنانيّاتهم ولا تكبّلهم أطماعهم، ألم يقل أمير المؤمنين عليه السلام: «لاَ يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ مَنْ لاَ يُصَانِعُ، وَلاَ يُضَارِعُ، وَلاَ يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ».(نهج البلاغة:٤٨٨)

وإنّ أكثر عمليات الإصلاح في تاريخ الإنسانية، تبادر لها ثلة قليلة قبل أن يتحول إلى تيار هادر، فتراها تؤمن به أولاً وتحدد الهدف ثانياً وتستعد له بالأدوات المطلوبة ثالثاً، وتستقيم عليها بلا خوف أو تردد أو وجل أو تراجع لأيّ سبب ومهما كان الثمن رابعاً، وهو الأمر الذي نقرأه في سيرة سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

وهناك نوع آخر من (المصلحين) الذين يبدؤون المسير إلاّ أنّهم لا ينتهون به إلى غاياته، إمّا خوفاً أو طمعاً أو لحاجة في أنفسهم، ولذلك ورد عن الإمام علي عليه السلام



قوله: «قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ».(وسائل الشيعة:١/١١٨)

ثانياً

إنّه مطلوب في كل وقت، لأنّ جوهر معنى الإصلاح فيه بعدان، وهما التصحيح والتحديث.

الأول يتحقق إذا شخّص المجتمع الانحراف واعترف به من دون تبرير أو تحايل او تضليل، وهذا يتطلب: الشجاعة والحرية.

ألف: الشجاعة

الشجاعةهي قوة القلب في الشدة والإقدام والجرأة والصبر في وقت الشدة.

فالشجاعة ليست بالقوة الجسمية فقط بل بالقوة العقلية أيضاً، فإذا وجدت قوة في الجسم ولم يوجد عقل لم تنفع قوة الجسم لأنّ العقل هو الذي يتحكم بها.

أمّا إذا وجد العقل فإنّه يحوي القوة أيضاً.

فإذا وجد العقل فهو يضرب عصفورين بحجر واحد لأنّه سيحوي القوة وإذا لم يوجد العقل فلا نفع في قوة (العضلات) وقد تكون الشجاعة بالقلم والسيف كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «الشجاعة صبر ساعة». (بحار الأنوار:٧٥/١١)

فالمجتمع الجبان لا يمارس عملية التغيير الذاتي أبداً.

لأنّ الجبن هو ضد الشجاعة وهو (سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام أو غيره، مع كونها أولى).(جامع السعادات:١/١٩٣)

فالمجتمع الجبان هو المجتمع الذي لا يستطيع التقدم فيما يريده لأنّ نفسه ساكنة عن الحركة في الاتجاه الصحيح، فضلاً عن أنّه إذا كان ذا قوة بدنية وجسمية، لكنه لا يملك العقل أبداً فهذا أيضاً يصعب على المجتمع الجبان أن يكون شجاعاً في اتخاذ القرارات وفي الحركة نحو الأمام.

باء: الحرية

يمكن تعريف الحرية على أنّه قدرة الفرد على اتخاذ القرار المناسب له دون أيّ تدخُّل أو تأثير من أي طرف آخر؛ سواء كان مادياً أو معنوياً، وعدم اتباعه لأيّ شخص بدون تفكير.

فكل إنسان له الحق في الحرية والاستقلالية الذاتية في التفكير واتخاذ القرارات التي يراها مناسبة له، وضمن قواعد وضوابط أخلاقية لا تنفي الصفة الشخصية عن القرار والحريّة هي وضعيّة الإنسان غير المملوك لغير الله، وجاءت أيضاً بمعنى القدرة على العمل أو الإمساك عنه.

فالعبد لا يغيّر شيئاً من واقعه لأنّه يفتقد إلى الأهلية بالأساس، ولذلك أعاد الإمام الحسين عليه السلام كل الأمور إليها عندما قال «إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم».(اللهوف في قتلى الطفوف:١٢٠)

أراد الإمام عليه السلام أنّ يوجّه هذا الموضوع لجيش الظلم والضلال أنّ صفة الحرية هي من الصفات

التي كانت قبل الإسلام، فإن كان الإنسان لا يخاف الله ولا يخاف من الحساب في المعاد فليرجع إلى أصله في الصفات، فيكون حرّاً وليس عبداً لغير الله، كما كان جيش عمر بن سعد (لعنه الله).

فالدين بلا حرية لا ينفع شيئاً، ومخافة الله واليوم الآخر لا تنفع شيئاً بلا حرية، ولذلك أوصى الله تعالى رسوله الكريم أنْ لا يُجبر أحداً على قبول الإسلام وهو في حالة رعب وخوف وهلع فقال عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾. (التوبة:٦)

وإنّما يفقد المرء الحرية إذا سكنت عقله وتفكيره الثالوث المشؤوم: الشمولية: التي تُنتج عنده احتكار الحقيقة، وعبادة الشخصية: التي تُنتج عنده الصنميّة والتقديس الأعمى وتالياً ظاهرة (الإمّعة) وصناعة الطاغوت: فتراه يدخل في معارك وحروب بالنيابة من دون أن يستفيد شيئاً، ويبرر للحاكم الظالم ولا يستوعب أي نقد أو تنبيه.

ولقد أشار القران الكريم إلى هذه الأمراض الثلاثة بقوله عز من قائل: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾. (غافر:٢٩)

وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ﴾. (التوبة:٣١)

وقال عزّ وجل في آية أخرى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾. (النساء:٦٠)

ثالثاً

وضوح الرؤية التي وصفها القرآن الكريم بقوله ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. (يوسف:١٠٨)

أمّا التحديث، والذي يعني التطوير، فيتطلب أمور:

١. المعرفة

والتي تتطلّب ملاحقة تطورات الحياة المادية والمعنوية، والتي تعتمد التفكير السليم والاستفادة من تجارب الآخرين ووعي المرحلة.

٢. القدرة

التي هي القدرة على التنفيذ والاستعداد لدفع الثمن، إذ لا إصلاح بالمجان، ولا يحقق العاجز الإصلاح، وإنّما حقق نبي الله تعالى يوسف عليه السلام الإصلاح في مصر لأنّه كان كما وصف نفسه في قوله تعالى ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾. (يوسف:٥٥)

ولكل إصلاح علمه الخاص وأدواته والقدرات المطلوبة.

إذا لم يكن المصلح على أتم الاستعداد لدفع الثمن المطلوب، فلا يبدأ به أبداً، ولذلك قال الإمام الحسين عليه السلام لمن تبعه في خروجه بقوله: «من كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا».(نزهة الناظر وتنبيه الخواطر:٨٦)

لأنّ المتردد يدفع الثمن بلا نتيجة.

ملاحظة

إنّ بعض المجتمعات تتصوّر أنّ الإصلاح مطلوب فقط عند الفشل أو الهزيمة؛ فهذا خطأ كبير، وإنما هو مطلوب دائماً، إمّا لتجاوز فشل حاصل أو لتجنب فشل آخر قد يحصل، ولذلك حثّ الإمام على المراجعة الذاتية كل يوم.

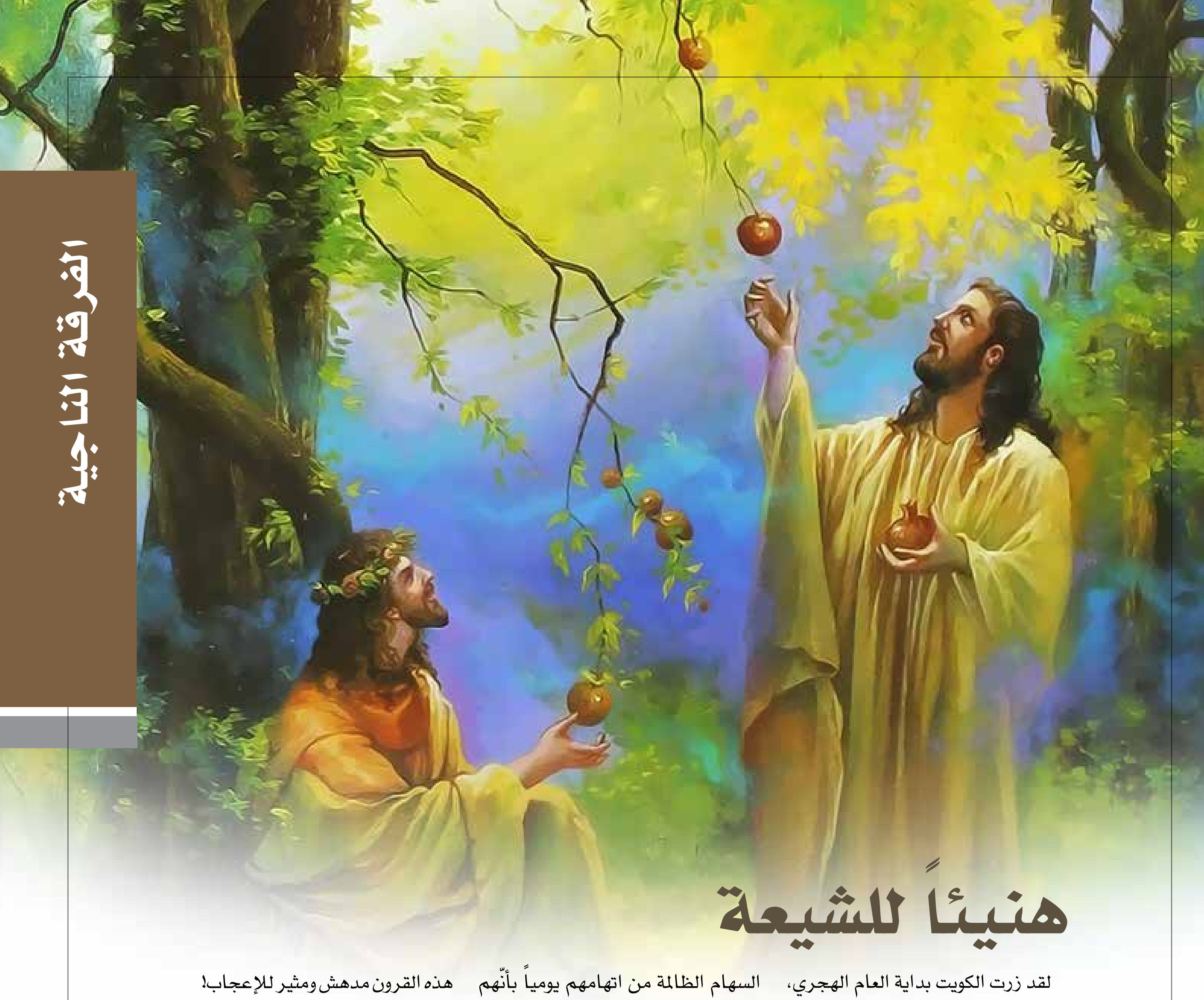
فقد ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام قوله: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله منها، وإن عمل سيئاً استغفر الله وتاب منها».(الزهد:٧٦)

فقد أشار الإمام الكاظم عليه السلام إلى نكتة مهمة وهي أنّ الإنسان إذا أراد البدء بالإصلاح فعليه أن يقف على الخطأ لحظة المرور به، أو يلمس فشلاً قادماً قبل أن يحلّ عليه.

إنّ المجتمعات التي تنتبه لنفسها باستمرار، لا تحتاج إلى عمليات قيصرية للإصلاح، كما لو أنّ مريضاً انتبه لحاله مبكراً، فسوف يعالج نفسه بأبسط الطرق وأسهلها، وكلما استفحل المرض أو تأخّر الطبيب في تشخيصه كلما احتاج إلى ثمن أغلى للعلاج، ووقت أطول، فضلاً عن أنّ من المحتمل عند ذلك العلاج لا يفي بالغرض.

فإنّ الإشكالية هي إنّنا ننتبه إلى المشكلة متأخّرين، وإذا انتبهنا لها برّرناها، وإذا تمنّينا الإصلاح نرفض أن ندفع الثمن، وإذا دفعنا الثمن فمن دمائنا وأرواحنا للأسف الشديد.

بقلم: نزار حيدر



هنيئاً للشيعة

لقد زرت الكويت بداية العام الهجري، ثم زرت الاحساء؛ وكانت فرصة أن ألتقي مع كثير من الأخوة في الدين والوطن من الشيعة.

ورأيت كم هم طيبون ومتواضعون وكم هي الصورة مشوهة عنهم.

صحيح إني أعرف بعض رموزهم من قبل، لكن أن تراهم عن قرب فهذا أفضل.

هنيئاً للشيعة هذا التحمل للأذى والطعن في الأعراض وسيل الإهانات التي يتعرضون لها بسبب حبهم لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله إنّه شرف عظيم.

وقلت في نفسي ما الذي يصبرهم على هذا الأذى المستمر أربعة عشر قرناً؟ أليس ما يصبرهم هو الحب الصادق لمحمد وآل محمد عليهم السلام؟

ألا يتلقون بصدورهم ووجوههم هذه السهام الظالمة من اتهامهم يومياً بأنّهم مجوس وأبناء متعة وأنجاس... الخ بسبب حبهم لآل محمد عليهم السلام؟

أليس من حقهم أن يقولوا يوم القيامة؛ لقد قتلونا واتهمونا في أعراضنا واحتقرونا طوال هذه القرون لأننا نحب آل محمد عليهم السلام فقط!

لأنّ خصومهم لا يقتصرون على نقد أخطائهم أوشذوذ بعضهم، وإنّما يتهمونهم كلهم ويطعنون في أعراضهم وهذا ليس إلاّ لحب آل محمد عليهم السلام.

لقد شارك الشيعة الأنبياء في هذا التلويث لسمعتهم فبذلوا جاههم وأنفقوا سمعتهم لله!

ولن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.

حقاً إنّ صبر الشيعة على كل اضطهاد وقتل وتشريد وتسفيه وتبديع وتكفير طوال هذه القرون مدهش ومثير للإعجاب!

أي قلوب يحملون؟ وكيف استطاعوا أن يحتفظوا بمكارم الأخلاق رغم هذه الإهانات والمظالم والاستفزازات؟

إنّها قلوب امتلأت بحب علي عليه السلام فاطمأنت!

سيأتي فريقان يوم القيامة وقد اشتركا في بذل سمعتهم وجاههم لله والأنبياء وخلص أتباعهم وأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم! لقد انتصروا حقاً!

حق للشيعة يوم القيامة أن يفخروا ويقولوا: لأجل حب علي وفاطمة وأهل بيت النبي من ذريتهما عليهم أفضل الصلاة والسلام اضطهدونا وشردونا واتهموا أعراضنا وأذاقونا العلقم.

لن يصيبهم الخزي يوم القيامة! لأنّه لا تكاد تجد في صحيفة حبهم ظالم!

بقلم: المفكر السعودي حسن فرحان



هل كان التشيّع في زمن النبي صلى الله عليه وآله؟

إنّ كلمة التشيّع لغة هو المشايعة أي المتابعة والمناصرة والموالاة. (صحاح الجوهري:٣/١٥٦)

فالشيعة بالمعنى اللغوي هم الأتباع والأنصار.

وقد غلب هذا الاسم على أتباع أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى اختص بهم وأصبح إذا أطلق ينصرف إليهم.

وبهذا المعنى اللغوي استعمل القرآن الكريم لفظة الشيعة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾. (الصافات:٨٣)

وكقوله تعالى: ﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾. (القصص:١٥)

أما التشيّع اصطلاحاً هو الاعتقاد بآراء وأفكار معينة؛ وقد اختلف الباحثون في هذه الأفكار والآراء كثرة وقلة.

فالتشيّع بالمعنى الثاني أعم منه بالمعنى الأول: وبينهما من النسب عموم وخصوص مطلقاً والعموم في جانب التشيع بالمعنى الثاني لشموله لكل منهما.

وانطلاقاً من كون التشيّع اعتقاداً بآراء معينة ذهب العلماء والباحثون إلى تعريفه على اختلاف بينهم في سعة مدى هذه التعاريف.

فقال الشهيد الثاني رحمه الله: (الشيعة من شايع علياً – أي اتبعه وقدمه على غيره في الإمامة وإن لم يوافق على إمامة باقي الأئمة، فيدخل فيهم الإمامية والجارودية من الزيدية والإسماعيلية غير الملاحدة منهم والواقفية والفطحية). (شرح اللمعة:٢/٢٢٨)

وقال الشيخ المفيد رحمه الله: (الشيعة هم من شايع علياً وقدمه على أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله واعتقد أنه الإمام بوصية من رسول الله أو بإرادة من الله تعالى نصاً كما يرى الإمامية أو وصفاً كما يرى الجارودية)، وقد نقل هذا المضمون نفسه كامل مصطفى الشيبي في كتابه الصلة. (موسوعة العتبات المقدسة:٩١)

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: (الشيعة هم الذين شايعوا علياً وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية أما جلياً وأما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده). (الملل والنحل:١٠٧)

وقال النوبختي في كتابه الفرق: (الشيعة هم فرقة علي ابن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمن النبي ومن وافق مودته مودة علي). (فرق الشيعة:٢٥)

وقال محمد فريد وجدي: (والشيعة هم الذين شايعوا علياً في إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ويقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً إلا في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم). (دائرة المارف:٥/٤٢٤)

إذن التشيّع هو مجموعة يؤمنون بإمامة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وأنّه الوصي من بعد رسول الله صلى الله عليه آله فاتبّعوه بناءً على وصية النبي من ربه تعالى على اتّباع الإمام والخليفة بالحق من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد قَالَ رَجُلٌ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: يَا ابْنَ

رَسُولِ اللهِ أَنَا مِنْ شِيعَتِكُمُ الْخُلَّصِ - فَقَالَ لَهُ عليه السلام: يَا عَبْدَ اللهِ - فَإِذَنْ أَنْتَ كَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، فَإِنْ كَانَ قَلْبُكَ كَقَلْبِهِ فَأَنْتَ مِنْ شِيعَتِنَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ كَقَلْبِهِ، وَهُوَ طَاهِرٌ مِنَ الْغِشِّ وَالْغِلِّ [فَأَنْتَ مِنْ مُحِبِّينَا] وَإِلَّا فَإِنَّكَ إِنْ عَرَفْتَ أَنَّكَ بِقَوْلِكَ كَاذِبٌ فِيهِ، إِنَّكَ لَمُبْتَلًى بِفَالِجٍ لَا يُفَارِقُكَ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ جُذَامٍ لِيَكُونَ كَفَّارَةً لِكِذْبِكَ هَذَا. (تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٣١٠)

إنّ من شيعته لإبراهيم أي من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فمن كان من شيعة علي عليه السلام فهو أكيداً من شيعة النبي صلى الله عليه وآله فهذا لا منافاة أن يكون نبي من أولي العزم من شيعة النبي صلى الله عليه وآله لأن النبي الأكرم هو سيد الأنبياء وخاتم الرسل.

ومن صفات شيعة علي عليه السلام أنّه يجب الاتصاف بالأنبياء، لأن الشيعة والتشيّع ليس بالسهل، ولهذا قال الإمام زين العابدين عليه السلام «فإن كان قلبك كقلبه فأنت من شيعتنا».

إنّ القلب هو التسليم التام لله تعالى بلا منازع؛ أن يسلّم الإنسان كل شيء لله تعالى كما في قصة حرق النبي إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام على يد نمرود.

عَنْ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّيْرَفِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «...إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا وُضِعَ فِي الْمَنْجَنِيقِ غَضِبَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا جَبْرَئِيلُ مَا يُغْضِبُكَ! قَالَ: يَا رَبِّ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُكَ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرَهُ سَلَّطْتَ عَلَيْهِ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: اسْكُتْ فَإِنَّمَا يَعْجَلُ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مِثْلُكَ يَخَافُ الْفَوْتَ فَأَمَّا أَنَا فَهُوَ عَبْدِي آخُذُهُ إِذَا شِئْتُ، قَالَ: فَطَابَتْ نَفْسُ جَبْرَئِيلَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَقَالَ عليه السلام: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، فَأَهْبَطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهَا خَاتَماً فِيهِ سِتَّةُ أَحْرُفٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللهِ أَسْنَدْتُ ظَهْرِي إِلَى اللهِ حَسْبِيَ اللهُ قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِأَنْ تَخَتَّمْ بِهَذَا الْخَاتَمِ فَإِنِّي أَجْعَلُ النَّارَ عَلَيْكَ بَرْداً وَسَلَاماً». (الخصال:١/٣٣٦)

فالتسليم الحقيقي هو هذا الذي قام به النبي إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام، ليس هناك أهمية لما يحدث أو هو في أي موقع أو في أي حالة، إنّ اتجاهه وحواسه وكل جوارحه هي لله تعالى، لا ينظر لأي أحد حتى لمن ينزل الوحي كمثل جبرائيل الأمين على نبينا وآله وعليه السلام؛ فهذا هو الاتباع الحقيقي من شيعة علي عليه السلام.

فلا شك إنّ التشيّع والشيعة كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله، فقد كان عدد من الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وآله يحبّون علياً عليه السلام ويلتفون حوله، فعرفوا باسم (شيعة علي)، وقد نزلت الآيات من الله تعالى في مدحهم، ومدحهم الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله.

قال السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾. (الدر المنثور:٦/٣٧٩)

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي فقال النبي صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾. (مختصر تاريخ دمشق:٥/٤١٠)

فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية، وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: علي خير البرية. (الكامل في الضعفاء: ١/ ١٦٩)

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال لما نزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين». (شواهد التنزيل:٢/٤٦١، ١١٢٦)

وأخرج ابن مردويه عن علي قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألم تسمع قول الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾، أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون غراً محجلين»، انتهى. (الدر المنثور:٦/٣٧٩)

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة، وإن من العجائب أن هذه الأحاديث بقيت في حق علي عليه السلام وشيعته، رغم كل ما عملته الدول المتعاقبة من أجل إطفاء نوره، حتى أن دولة النواصب الأموية جعلت لعنه فرضاً واجباً في صلاة الجمعة في جميع البلاد نحو سبعين سنة، ومع ذلك بقيت في مصادر أتباعهم أمثال هذه الأحاديث العظيمة في فضله وفضل شيعته! أليس هذا بحد ذاته كرامة ومعجزة؟!

وعلى هذا فإنّ الشيعة والتشيّع كان قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يعني من زمن النبي إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام، فكيف لا يكون من زمن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، وسيد المرسلين.

بقلم: الشيخ علي الكوراني



التوكّل وحقيقته

معنى التوكل

التوكل من مصدر (وكل) في أسماء الله تعالى (الوكيل) هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه. وقد تكرر ذكر (التوكل) في الحديث. يقال: توكّل بالأمر، إذا ضمن القيام به. ووكلت أمري إلى فلان: أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه. ووكل فلان فلاناً، إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه.

ومنه حديث الدعاء «...لا تكلني إلى نفسي طرفة عين...».(المقنعة للمفيد:١٩٨) ومنه الحديث «ووكلها إلى الله» أي صرف أمرها إليه.(النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:٥/٢٢١)

فالتوكل هو: الاعتماد على الله تعالى في جميع الأمور، وتفويضها إليه، والإعراض عمّا سواه، وباعثه قوّة القلب واليقين، وعدمه من ضعفهما أو ضعف القلب، وتأثّره بالمخاوف والأوهام.

وقوله تعالى: ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾ (الإسراء:٢)، أي معتمداً تكلون إليه أموركم. وقوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. (الطلاق:٣)، فالأصل في التوكل: هو إظهار العجز والإعياء. والاسم التكلان. و التوكل على الله: انقطاع العبد إليه في جميع ما يأمله من المخلوقين. وقيل: ترك السعي فيما لا يسعه قدرة البشر فيأتي بالسبب ولا يحسب أن المسبب منه كحديث «أعقل وتوكل».(عوالي اللئالي العزيزية:٧٥/١)، قوله تعالى: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (الأنعام:٦٦)، والوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه. قال المفسر ومعناه لست بحافظ أعمالكم ولا أجازيكم بها، إنما أنا منذر والله تعالى هو المجازي. والتوكيل هو أن

تعتمد على الرجل وتجعله نائباً عنك. ومنه قوله تعالى ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (النساء:٨١)، أي اكتف به يتولى أمرك ويتوكّل لك قوله ﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم:١٢)، قال: الزارعون. والوكيل من أسمائه تعالى، قيل هو الكافي. وقيل هو الكفيل بأرزاق العباد.

وفي الحديث «لو توكلتم على الله حق توكله لكان كذا» وذلك بأن يعلم يقيناً أنه لا فاعل إلا الله وكل موجود من رزق وعطاء ومنع وغير ذلك من الله. ثم يسعى في الطلب على الوجه الجميل وفي معاني الأخبار «التوكل على الله العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الناس، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ولم يرج، ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله، وقد يظن أن التوكل هو ترك التكسب وهو ظن جهالة بل هو حرام».(معاني الأخبار:٢٦١)

وفي حديث أبي بصير عنه عليه السلام قال: وقد قيل له: فما حد التوكل؟ قال: «اليقين». قيل: فما حد اليقين؟ قال: «أن لا يخاف مع الله شيئاً».(الكافي الشريف:٢/٥٧،ح١)

والتوكّل هو من دلائل الإيمان، وسمات المؤمنين ومزاياهم الرفيعة، الباعثة على عزّة نفوسهم، وترفّعهم عن استعطاف المخلوقين، والتوكّل على الخالق في كسب المنافع ودَرء المضار.

وقد تواترت الآيات والآثار في مدحه والتشويق إليه: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾. (الطلاق:٣) وقال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾. (آل عمران:١٥٩) وقال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾. (التوبة:٥١) وقال: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾. (آل عمران:١٦٠)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الغنى والعز يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكّل أوطنا».(الكافي الشريف:ص/٦٥، ح٣)

فبيّن أنّ الغنى والعز يجتمعان في التوكل، إذا توكّل الإنسان على الله سلّم أموره كلها لله تعالى فعند ذلك قد استغنى عن أي أحد آخر أولاً فيحصل على الغنى ثانياً يكون في عزّ واحترام وتقدير، وقد يكون عزيزاً في الدنيا.

وقال عليه السلام أيضاً: «أوحى الله إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، ثمّ تكيده السماوات والأرض، ومن فيهن، إلاّ جعلت له المخرج من بينهن. وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، إلاّ قطعت أسباب السماوات من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأيّ واد هلك». (الكافي الشريف:٢/٦٣، ح١)

فالاعتصام هو الإلزام والتمسّك إذا العبد تمسّك بالله تعالى دون أحد من خلقه، فذلك معروف من نيّة المرء كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «صَاحِبُ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ صَاحِبُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ لأَنَّ سَلاَمَةَ الْقَلْبِ مِنْ هَوَاجِسِ الْمَحْذُورَاتِ بِتَخْلِيصِ النِّيَّةِ له تَعَالَى فِي الأُمُورِ كُلِّهَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِه، وَقَالَ صلى الله عليه وآله إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَلاَبُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ خَالِصِ النِّيَّةِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ لأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ غَافِلاً وَالْغَافِلُونَ قَدْ ذَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى.

فصاحب القلب السليم هو من كانت نيّته صالحة وصادقة مع الله تعالى، فمن توكّل على الله عرفه الله من نيّته فإذا كانت نيّته صادقة جعل الله السماوات والأرض ومن فيهم تحت اختياره، وقد عبّر الحديث الشريف إذا كانت السماوات والأرض ومن فيهم ضد من توكّل على الله في أموره أخرجه الله تعالى من المآزق والمشاكل كلّها فيجعل الله تعالى المخرج من المهالك بالتوكل عليه.

أما فيما إذا كان العبد نيّته غير صادقة مع الله بالتوكل عليه أي أنّه لا يصدق النيّة وبقلب غير سليم ولم يتوكّل على الله فعرفه الله من نيّته السيّئة لم يجعل له مخرجاً

مما هو فيه، ويقطع عليه مدد السماء والأرض ومن فيهما، ولا يبال إلى هذا العبد في أي وادٍ يهلك وإلى أين يسلك.

وقال عليه السلام في رواية أخرى: «من أعطي ثلاثاً، لم يمنع ثلاثاً: من أُعطي الدعاء أُعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكّل أعطي الكفاية». (المحاسن:١/٣، ح١)

إنّ هذه التقسيمات الثلاثة هي المنجيّة للإنسان في وادي الدنيا، لكي لا يغرق ويستطيع الصعود إلى قمّة النجاح.

فمن كان دعاؤه مستجاباً فقد أعطي الدعاء لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل على نفسه استجابة الدعاء بقوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠)، فألزم نفسه عزّ وجل بالاستجابة، لكن بشرطها وشروطها، فكما للدعاء شروط للداعي أيضاً شروط، إنّ من يدعو الله تعالى بنيّة استجابة الدعاء والتوكّل على الله للاستجابة فيكون قد حصل على المطلوب.

ومن أدام على الشكر وجعل الشكر لله على كل حاجة وكل أمر وكل شيء، فعلى الله أن يعطيه الزيادة في الرزق والبنون وفي كل أمر من أموره.

أما في التوكّل فالعبد يحتاج الكفاية في هذه الدنيا لما يحتاجه في تمشية أموره، كالكفاية في الرزق والكفاية في الأولاد والكفاية في احتياجاته الدنيوية.

فمن توكّل على الله تعالى في أموره وفوّضها له تعالى سيحصل على الكفاية في الدنيا وفيها رضا الله تعالى.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته للإمام الحسن عليه السلام: «وألجئ نفسك في الأمور كلّها إلى إلهك، فإنّك تلجئها إلى كهف حريز، ومانع عزيز». (تحف العقول:٦٩)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه، أن قال له: يا بني ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيّته في طلب الرزق، إنّ الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال، ضمن أمره، وآتاه رزقه، ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة، إنّ الله تبارك وتعالى سيرزقه في الحال الرابعة: أمّا أوّل ذلك فإنّه كان في رحم أمّه، يرزقه هناك في قرار مكين، حيث لا يؤذيه حر ولا برد، ثمّ أخرجه من ذلك، وأجرى له رزقاً من لبن أمّه، يكفيه به، ويربيه وينعشه من غير حول به ولا قوّة. ثمّ فُطم من ذلك، فأجرى له رزقاً من كسب أبويه، برأفة ورحمة له من قلوبهما، لا يملكان غير ذلك، حتّى أنّهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة، حتّى إذا كبر وعقل، واكتسب لنفسه، ضاق به أمره، وظنّ الظنون بربّه، وجحد الحقوق في ماله، وقتر على نفسه وعياله، مخافة رزقه، وسوء ظن ويقين بالخلف من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل، فبئس العبد هذا يا بني». (الخصال:١/١٢٢)

حقيقة التوكّل

ليس معنى التوكّل إغفال الأسباب والوسائل الباعثة على تحقيق المنافع، ودرء المضار، وأن يقف المرء إزاء الأحداث والأزمات مكتوف اليدين.

إنّما التوكّل هو: الثقة بالله عز وجل، والركون إليه، والتوكّل عليه دون غيره من سائر الخلق والأسباب،

باعتبار أنّه تعالى هو مصدر الخير، ومسبّب الأسباب، وأنّه وحده المُصرّف لأمور العباد، والقادر على إنجاح غاياتهم ومآربهم.

ولا ينافي ذلك تذرّع الإنسان بالأسباب الطبيعية، والوسائل الظاهرية لتحقيق أهدافه ومصالحه كالتزوّد للسفر، والتسلّح لمقاومة الأعداء، والتداوي من المرض، والتحرّز من الأخطار والمضار، فهذه كلّها أسباب ضرورية أن تجري الأمور إلاّ بأسبابها.

بيد أنّه يجب أن تكون الثقة به تعالى، والتوكّل عليه، في إنجاح الغايات والمآرب دون الأسباب، وآية ذلك أنّ أعرابياً أهمل عَقل بعيره متوكّلاً على الله في حفظه، فقال النبي صلى الله عليه وآله له: «أعقل وتوكّل».(مجمع البحرين:٥/٤٩٣)

درجات التوكّل

يتفاوت الناس في مدارج التوكّل تفاوتاً كبيراً، كتفاوتهم في درجات إيمانهم: فمنهم السبّاقون والمجلّون في مجالات التوكّل، المنقطعون إلى الله تعالى، والمعرضون عمّن سواه، وهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ومن دار في فلكهم من الأولياء.

ومن أروع صور التوكّل وأسماه، ما روي عن نبي الله إبراهيم عليه السلام: «لما ألقي في النار، تلقاه جبرائيل في الهواء، فقال: هل لك من حاجة؟ فقال عليه السلام: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل. فاستقبله ميكائيل فقال: إن أردتَ أن أخمد النار فإنّ خزائن الأمطار والمياه بيدي، فقال عليه السلام: لا أريد. وأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيّرت النار، فقال عليه السلام: لا أريد، فقال جبرائيل: فاسأل الله، فقال عليه السلام: حسبي من سؤالي علمه بحالي».(بحار الأنوار:٦٨/١٥٦)

ومن الناس من هو عديم التوكّل، عاطل منه، لضعف إحساسه الروحي، وهزال إيمانه، ومنهم بين هذا وذاك على تفاوت في مراقي التوكّل.

كيف تكسب التوكّل

١. استعراض الآيات والأخبار الناطقة بفضله وجميل أثره في كسب الطمأنينة والرخاء.

٢. تقوية الإيمان بالله عز وجل، والثقة بحسن صنعه، وحكمة تدبيره، وجزيل حنانه ولطفه، وأنّه هو مصدر الخير، ومسبّب الأسباب، وهو على كل شيء قدير.

٣. التنبّه إلى جميل صنع الله تعالى، وسمو عنايته بالإنسان في جميع أطواره وشؤونه، من لدن كان جنيناً حتّى آخر الحياة، وأنّ من توكّل عليه كفاه، ومن استنجده أنجده وأغاثه.

٤. الاعتبار بتطوّر ظروف الحياة، وتداول الأيّام بين الناس، فكم فقير صار غنياً، وغني صار فقيراً، وأمير غدا صعلوكاً، وصعلوك غدا أميراً متسلّطاً.

وهكذا يجدر التنبّه إلى عظمة القدرة الإلهية في أرزاق عبيده، ودفع السوء عنهم، ونحو ذلك من صور العبر والعظات الدالّة على قدرة الله عز وجل، وأنّه وحده هو الجدير بالثقة، والتوكّل والاعتماد دون سواه.

بقلم: الشيخ حسن الخشن



أخلاق الحسين عليه السلام

من صفات المعصوم القائد والإمام عليه السلام الاتصاف بالخلق الرفيع، وهذه ميزة متجسدة في خلق الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام، باعتباره صاحب مسيرة كبرى لتركيز دين جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد روي عن الحسن بن علي عليهما السلام أنّه قال:«وفد أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدُلَّ على الحسين عليه السلام، فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بإزائه وأنشأ يقول:

لم يخب الآن من رجاك ومن
حرَّك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد
أبوك قد كان قاتل الفسقة
لو لا الذي كان من أوائلكم
كانت علينا الجحيم منطبقة

قال: فسلَّم الحسين عليه السلام وقال: يا قنبر، هل بقى من مال الحجاز شيء؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار. فقال: هاتها قد جاء من هو أحقُّ بها منّا، ثم نزع برديه ولفَّ الدنانير فيها، وأخرج يده من شقِّ الباب حياءً من الأعرابيِّ وأنشأ:

خذها فإنّي إليك معتذر
واعلم بأنّي عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصا
أمست سمانا عليك مندفقة
لكنَّ ريب الزمان ذو غير
والكف منِّي قليلة النفقة

قال: فأخذها الأعرابيُّ وبكى، فقال له: لعلك استقللت ما أعطيناك. قال: لا ولكن كيف يأكل التراب جودك؟ وولى وهو يقول:

مطهرون نقيات جيوبهم
تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
وأنتم أنتم الأعلون عندكم
علم الكتاب وما جاءت به السور
من لم يكن علوياً حين تنسبه
فما له في جميع الناس مفتخر».

(مناقب آل أبي طالب:٤/٦٥)

ومن أخلاقه عليه السلام أنّه مرَّ الحسين بمساكين يأكلون في الصفة، فقالوا: الغداء، فنزل وقال عليه السلام: «إنّ الله لا يحب المتكبرين»، فتغدّى معهم، ثم قال لهم عليه السلام: «قد أجبتكم فأجيبوني»، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله فقال للرباب: أخرجي ما كنت تدّخرين».(تفسير العياشي:٢/٢٥٧)

وقال أنس: كنت عند الحسين عليه السلام فدخلتْ عليه جارية فحيته بطاقة ريحان، فقال عليه السلام لها: «أنت حرة لوجه الله، فقلت له: تجيئك جارية تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟ قال عليه السلام: كذا أدّبنا الله، قال الله: ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردُّوها ﴾ وكان أحسن منها عتقها».(نزهة الناظر وتنبيه الخواطر: ٨٣)

وقد رويَ أنّ أعرابياً من البادية قصد الحسين عليه السلام فسلَّم عليه فرد الإمام عليه السلام، فسأله حاجة وقال: سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا سألتم حاجةً فاسألوها من أحد أربعة، إما من عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو ذي وجه صبيح، فأما العرب فشرفت بجدك، وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم، وأما القرآن ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصبيح فإنّي سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا أردتم أن تنظروا إليّ فانظروا إلى الحسن والحسين عليهما السلام» فقال الحسين عليه السلام له: «ما حاجتك؟»، فكتبها على الأرض، فقال الحسين عليه السلام: «سمعت أبي علياً عليه السلام يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه، وسمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: المعروف بقدر المعرفة، فأسألك عن ثلاث خصال؛ فإن أجبتني عن واحدة فلك ثلث ما عندي، وإن أجبتني عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي، وإن أجبتني عن الثلاث فلك كل ما عندي؛ وقد حملت إليَّ صرة مختومة وأنت أولى بها»، فقال: سل عما بدا لك، فإن أجبت وإلاّ تعلمت منك، فأنت من أهل العلم والشرف، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

فقال الحسين عليه السلام: «أي الأعمال أفضل؟».

قال الاعرابي: الإيمان بالله والتصديق برسوله.

قال عليه السلام: «فما نجاة العبد من الهلكة؟».

قال: الثقة بالله.

قال عليه السلام: «فما يزين المرء؟».

قال: علم معه حلم.

قال عليه السلام: «فإن أخطأه؟».

قال: فمال معه كرم.

قال عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟».

قال: فقر معه صبر.

قال عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟».

قال: فصاعقة تنزل عليه من السماء فتحرقه، فضحك الحسين عليه السلام، ورمى له بالصرّة وفيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم، وقال عليه السلام: «يا أعرابي أعط الذهب إلى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك»، فأخذ ذلك الأعرابي وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.(مقتل الخوارزمي:١/١٥٦)

هذه الأخلاق العالية لم تصدر من إنسان عادي، بل هي أخلاق الأنبياء والأوصياء، وإنّها لدليل على أهليته للإمامة والخلافة والرئاسة.

ومن أخلاقه عليه السلام أنّه: لما التقى الحسين عليه السلام وأصحابه مع الحر بن يزيد الرياحي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حَرّ الظهيرة والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم، فقال الحسين لأصحابه: «اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشِّفوا الخيل ترشيفاً»، فقام فتيانه فرشفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملؤون القصاع والأتوار والطِّساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبَّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها؛ ولما حضر وقت الصلاة قال الحسين عليه السلام للحر: «أتريد أن تصلي بأصحابك؟».

قال: لا، بل تصلّي ونصلّي بصلاتك.(تاريخ الطبري:٤/٣٠٢)

نعم، هذه أخلاق الحسين عليه السلام يسقي أعداءه الماء، ويرشف خيلهم اقتداءً بأبيه علي عليه السلام في واقعة صفين عندما استولى عليه السلام على الماء سمح لهم بالسقي والشرب، بعكس معاوية وأصحابه حينما كانوا مستولين على الماء منعوا علياً وأصحابه منه.

وهكذا في واقعة الطف لما أمر عبيد الله بن زياد جيش عمر بن سعد بأن يمنعوا الماء عن الحسين وأصحابه وأهل بيته، وقد تم ذلك بالفعل.

عندما أقبل الحر بن يزيد على أهل الكوفة وهو عند الحسين فقال: لأُمكم الهَبل والعُبْر، دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه فصار في أيديكم كالأسير! قد حلأتموه ونساءه وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتتمرغ فيه خنازير السواد، لبئسما خلفتم به محمداً في ذريته، فدعوا هذا الرجل يمضي في بلاد الله، أما أنتم مؤمنون؟ وبنبوة محمد مصدقون؟ وبالمعاد موقنون؟ لا أسقاكم الله يوم الظماء.(الكامل في التاريخ:٢/٥٦٤)



وكتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد (لعنهما الله) يأمره أن يمنع الحسين عليه السلام ومن معه الماء، فأرسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، ونادى ابن حصين الأزديّ: يا حسين، أما تنظر إلى الماء؟ لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال الحسين: «اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً»، قال فمرض فيما بعد فكان يشرب الماء القُلّة ثم يقيء ثم يعود فيشرب... فمازال كذلك حتى مات؛ وذكر البلاذري: فمات ابن حصين بالعطش، كان يشرب حتى يبغر - أي كان يشرب إلى أن يمتلئ جوفه من الماء فما يروى، ولا يسكن عطشه - فيما يروى، فمازال ذاك دأبه حتى لفظ نفسه - أي حتى مات -.

ويقال: إنّ عمرو بن الحجاج قال: يا حسين، هذا الفرات تلغ فيه الكلاب، وتشرب منه الحمير والخنازير، والله لا تذوق منه جرعة حتى تذوق الحميم في نار جهنم.(الكامل في التاريخ:٢/٥٥٦)

ونادى المهاجر ابن أوس التميمي: يا حسين، ألا ترى إلى الماء يلوح كأنّه بطون الحيّات، والله لا تذوقه أو تموت، فقال الحسين عليه السلام: «إنّي لأرجو أن يوردنيه الله، ويحلئكم عنه».(أنساب الأشراف:٣/١٨١)

هذا موقف معسكر يزيد بن معاوية من الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه لما منعوهم الماء، وإن دل على شيء فإنما يدل على قساوة قلوبهم إضافة إلى مروقهم من الدين، فبالأمس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يتحمل عطش ولده الحسين عليه السلام لما طلب منه الماء، وهذا ما رويَ عن جابر قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسين بن علي فعطش فطلب له النبي ماء فلم يجده فأعطاه لسانه فمصه حتى رويَ.(مقتل الحسين للخوارزمي:١/١٥٢)

بقلم: الشيخ كمال معاش

الجهاد في سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾. (العنكبوت:٦٩)

وقال سبحانه: ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. (التوبة:٨٨)

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. (التوبة:١١١)

وروي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ بَابُ الْمُجَاهِدِينَ يَمْضُونَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مَفْتُوحٌ وَهُمْ مُتَقَلِّدُونَ بِسُيُوفِهِمْ وَالْجَمْعُ فِي الْمَوْقِفِ وَالْمَلَائِكَةُ تُرَحِّبُ بِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ أَلْبَسَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذُلاًّ وَفَقْراً فِي مَعِيشَتِهِ وَمَحْقاً فِي دِينِهِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَغْنَى أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا وَمَرَاكِزِ رِمَاحِهَا». (الكافي:٥/٣،ح٢)

فأعظم الجهاد جهاد النفس لأنّها أمّارة بالسوء، راغبة بالشر، ميّالة إلى الشهوات، متثاقلة بالخيرات، كثيرة الآمال، ناسية الأهوال، محبّة للرئاسة، وطالبة للراحة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾. (يوسف:٥٣)

وقال عليه السلام: «مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ وَمَنْ أَرَادَ إِصْلَاحَ حَالِهِ وَسَلَامَةَ نَفْسِهِ فَلْيَجْعَلْ دَأْبَهُ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ حَالٍ لَا يُخَالِفُ فِيهِ مَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ وَسُنَنَ الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَآدَابَهُمْ». (إرشاد القلوب:١/٩٨)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا يُصْبِحُ الْمُؤْمِنُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ عِنْدَهُ ظُنُونٌ». (إرشاد القلوب:١/٩٨) يعني يتهمها ويزري عليها.

قيل: إنّ رجلاً في زمان بني اسرائيل نام عن صلاة الليل، فلمّا انتبه لام نفسه، فقال: هذا منك وبطريقك وتفريطك حرمت عبادة ربي، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: قل لعبدي هذا: إنّني قد جعلت لك ثواب مائة سنة بلومك لنفسك.

وينبغي للعاقل مجاهدة نفسه على القيام بحقوق الله وسلوك طريق السلامة، فإنّ الله تعالى قال: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهديّهم سبلنا ﴾ (٤) ومن أراد السلامة من الشيطان فليجاهد نفسه ويحاسبها محاسبة الشريك لشريكه، ولقد أحسن أبوذر في قوله: ما وهب الله لامرء(٥) هبة أحسن من أن يلزمه زاجراً من نفسه يأمره وينهاه.

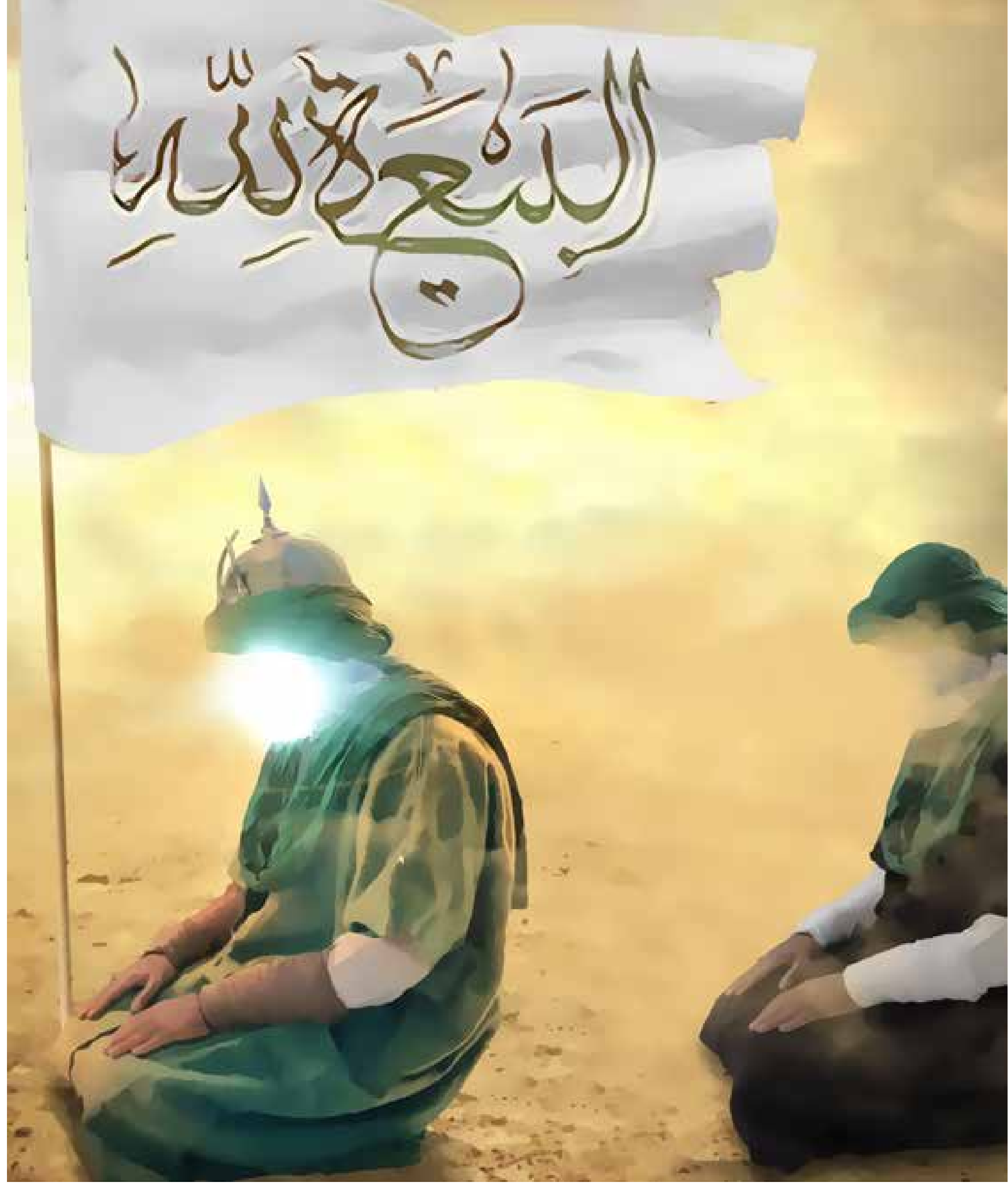
وفي الحديث: «عليكم بالجهاد فإنه رَهْبانيَّة أُمتي». فيُريد أَنَّ الرُّهْبانَ، وإِن تركوا الدنيا وزَهِدُوا فيها، وتَخَلَّوْا عنها، فلا تَرْكَ ولا زُهْدَ ولا تَخَلِّيَ أَكثرُ من بذل النفس في سبيل الله؛ وكما أَنه ليس عند النصارى عَمَلٌ أَفضلُ من التَّرَهُّب، ففي الإِسلام لا عَمَلَ أَفضلُ من الجهاد؛ ولهذا قال ذِرْوة: سَنامُ الإِسلام الجِهادُ في سبيل الله. (لسان العرب:١/٤٣٨،مادة(رهب))

ومن مجاهدة النفس أنّ الإنسان لا يأكل إلاّ عند الحاجة، ولا ينام إلاّ عند غلبة النوم، ولا يتكلّم إلاّ عند الضرورة، وبالجملة يقمعها عن الهوى، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾. (النازعات:٤٠-٤١)

واعلموا أنّ المجاهدة تعقب الراحة.

بقلم: الحسن الدّيلمي

اليماني في روايات أهل البيت عليهم السلام



ذكرت بعض الروايات أن لخروج اليماني والخراساني علامات تدل عليهما، منها أن خروج السفياني واليماني والخراساني يكون في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد. فعن سَيْف بْن عَمِيرَةَ عَنْ بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «خُرُوجُ الثَّلَاثَة السُّفْيَانِيِّ وَالْخُرَاسَانِيِّ وَالْيَمَانِيِّ فِي سَنَةٍ وَاحِدَة فِي شَهْرٍ وَاحِد فِي يَوْمٍ وَاحِد وَلَيْسَ فِيهَا رَايَةٌ أَهْدَى مِنْ رَايَةِ الْيَمَانِيِّ لأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ». (غيبة النعماني:٢٥٥)

وبناءً على صحة هذا الخبر فإنّ ظهور اليماني لا يكون إلا قبل ما يقارب السنة أو أقل إلى سنة وثلاثة أشهر وهي أقصى مدة ذكرت لحكم السفياني بعد خروجه.

قال ابْن أَبي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْن أُذَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّد بْن مُسْلم قَالَ: سَمعْتُ أَبَا عَبْد الله عليه السلام يَقُولُ: «إنَّ السُّفْيَانيَّ يَمْلكُ بَعْدَ ظُهُوره عَلَى الْكُوَر الْخَمْس حَمْلَ امْرَأَة».(غيبة الطوسي:٤٤٩)

فيظهر بطلان كل الادعاءات لليماني حين أنّ السفيان لم يظهر بعد، والذي يكون ظهوره مقارناً لظهور اليماني وكذلك الحال مع الخراساني.

ثمّ إنّ بعض الروايات ذكرت أن اليماني يخرج من اليمن، وأنه يوالي علياً عليه السلام وأن الخراساني يخرج من خراسان، وأن اليماني من ملوك اليمن وأن أسمه حسن أو حسين، وأنه من ذرية زيد بن علي عليه السلام وأنه يدعو إلى الحق ورايته راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحب الأمر عليه السلام فهذه الأخبار وغيرها لابد من تحققها، وأن تحققت فإنّها تقويّ احتمال كون هذا هو المقصود بالروايات.

فإنّ صفات السفياني واليماني والخراساني وموضع خروجهم وساعة الخروج كلّها محدّدة في روايات كثيرة وردت عن أهل البيت عليهم السلام؛ وقد وصفت الروايات الشريفة صفة الإمام المنتظر روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء وبيّنت مكانته وصفاته وأنه عليه السلام شبيه الرسل والأنبياء بل هو أفضل من الرسل والأنبياء لأنّه هو الذي يقيم العدل الإلهي وهو الذي يقيم دولة النبي محمد صلى الله عليه وآله وهو الذي يمهّد لرجعة الأئمة الاثني عشر الذي ورد في الحديث الشريف المهديّون اثنا عشر.

ففي حديث طويل عن مُحَمَّد بْن مُسْلم الثَّقَفيِّ الطَّحَّان قَالَ«دَخَلْتُ عَلَى أَبي جَعْفَر مُحَمَّد بْن عَليٍّ الْبَاقر عليهما السلام وَأَنَا أُريدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَن الْقَائم منْ آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فَقَالَ لي مُبْتَدئاً: «يَا مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلم إنَّ في الْقَائم منْ آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله شَبَهاً منْ خَمْسَة منَ الرُّسُل يُونُسَ بْن مَتَّى، وَيُوسُفَ بْن يَعْقُوبَ، وَمُوسَى وَعيسَى، وَمُحَمَّد صلى الله عليه وآله؛ فَأَمَّا شَبَهُهُ منْ يُونُسَ بْن مَتَّى فَرُجُوعُهُ منْ غَيْبَته وَهُوَ شَابٌّ – مدّة الغياب الطويلة – وَأَمَّا شَبَهُهُ منْ يُوسُفَ بْن يَعْقُوبَ – على نبينا وآله وعليه السلام – فَالْغَيْبَةُ منْ خَاصَّته وَعَامَّته وَاخْتفَاؤُهُ منْ إخْوَته وَإشْكَالُ أَمْره عَلَى أَبيه يَعْقُوبَ – على نبيه وآله وعليه السلام – مَعَ قُرْب الْمَسَافَة بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبيه وَأَهْله وَشيعَته؛ وَأَمَّا شَبَهُهُ منْ مُوسَى – على نبيّنا وآله وعليه السلام – فَدَوَامُ خَوْفه وَطُولُ غَيْبَته وَخَفَاءُ ولادَته وَتَعَبُ شيعَته منْ بَعْده ممَّا لَقُوا منَ الْأَذَى وَالْهَوَان إلَى أَنْ أَذنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في ظُهُوره وَنَصْره وَأَيَّدَهُ عَلَى عَدُوِّه؛ وَأَمَّا شَبَهُهُ منْ عيسَى – على نبيّنا وآله وعليه السلام – فَاخْتلافُ مَن اخْتَلَفَ فيه حَتَّى قَالَتْ طَائفَةٌ منْهُمْ مَا وُلدَ وَقَالَتْ طَائفَةٌ مَاتَ وَقَالَتْ طَائفَةٌ قُتلَ وَصُلبَ؛ وَأَمَّا شَبَهُهُ منْ جَدِّه الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وآله فَخُرُوجُهُ بالسَّيْف وَقَتْلُهُ أَعْدَاءَ الله وَأَعْدَاءَ رَسُوله صلى الله عليه وآله وَالْجَبَّارينَ وَالطَّوَاغيتَ وَأَنَّهُ يُنْصَرُ بالسَّيْف وَالرُّعْب وَأَنَّهُ لاَ تُرَدُّ لَهُ رَايَةٌ – وَإنَّ منْ عَلامَات خُرُوجه خُرُوجَ السُّفْيَانيِّ منَ الشَّام وَخُرُوجَ الْيَمَانيِّ منَ الْيَمَن وَصَيْحَةً منَ السَّمَاء في شَهْر رَمَضَانَ وَمُنَاد يُنَادي منَ السَّمَاء باسْمه وَاسْم أَبيه». (كمال الدين:١/٣٢٧)

فهنا بيّن الإمام الصادق عليه السلام أنّ من خصوصيات ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هي الأمور والواجبات التي قام بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الدعوة إلى الإسلام، فظهور الإمام المهدي عليه السلام هو لتصحيح ما حرّفته قوى الشر وما أزاحته عن الدين الإسلامي الذي جاء به جده المصطفى صلى الله عليه وآله.

ومع ذلك يبقى ذلك احتمالاً حتى تحصل جميع العلامات؛ فنحن غير ملزمين باتباع أصحاب الادعاءات إلا بعد القطع واليقين بصدق مدعاهم، وأن مثل اليماني والخراساني سوف لا يكونان بعيدين عن أنظار العلماء والفقهاء العدول، وهم الأكثر معرفة في تشخيصهما.

فباتباعهم والاقتداء بهم تكون من الناجين والمناصرين للإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف إن شاء الله تعالى.

إنّ الرواية إذا أردنا اعتبارها علامة على خروج اليماني، وأن رايته راية حق كما يتضح من آخرها لا تكون حجة علينا إلا بعد أن تتم العلامة فيها، وهي خروج السفياني

والخراساني واليماني في يوم واحد، حتى نستطيع بعدها التصديق بأن هذا الخارج مع الخراساني والسفياني هو اليماني.

وأما قبل تحقق العلامة لا ينبغي لأحد التصديق باليماني من وراء هذه الرواية فلعل الشخص يكون مدعياً لهذه الصفة، فعليه أن يأتي بدليل واضح يثبت فيه كونه هو اليماني دون غيره من الناس حتى يجب على الناس اتباعه.

على أننا لابد أن نعرف أن خروج اليماني يكون من اليمن كما أشارت إلى ذلك الرواية السابقة: (وخروج السفياني من الشام واليماني من اليمن) فعلى من يسمع تلك الادعاءات التي تقول بظهور اليماني هاهنا وها هناك لابد من تكذيبها بعد مخالفتها لتلك الروايات.

وبعد تتبع مجموعة من الروايات لم نجد اختلافاً بين الألفاظ التي ذكرتها وهي (خروج وقيام وظهور) ففي رواية عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: « وَاللهِ لاَ يَخْرُجُ وَاحِدٌ مِنَّا قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ ع إلاَّ كَان...». (الكافي:٨/٢٦٤)

وهذا بيان لرجعة أئمة أهل البيت عليهم السلام فرجعتهم لا تكون إلاّ بعد خروج القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإقامة الدولة الإلهية التي أرادها الله بعد رسوله صلى الله عليه وآله في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام لكن الرموز المخالفة للحكم الإلهي العادل قلبت الموازين والمخطط الذي أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يكتبه في أواخر حياته وهو على فراشه في مرضه الذي توفاه الله.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كُلُّ رَايَةٍ تُرْفَعُ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ فَصَاحِبُهَا طَاغُوتٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَل». (الكافي:٨/٢٩٥)

وقد خرجت عن الناحية المقدسة عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف في بيان السفارة والنيابة وتشخيص النائب والسفير على أنّ هل هناك نائب قبل ظهور الإمام عليه السلام أم لا! فقال عليه السلام في الرسالة الأخيرة التي خرجت من الناحية المقدسة إلى السفير الرابع علي بن محمد السمّري: «بسم الله الرحمن الرحيم: يَا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّمُرِيَّ أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّامٍ فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَلاَ تُوصِ إِلَى أَحَدٍ يَقُومُ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ الثَّانِيَةُ [الغيبة التامة] فَلاَ ظُهُورَ إِلاَّ بَعْدَ إِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الأَمَدِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَامْتِلاَءِ الأَرْضِ جَوْراً وَسَيَأْتِي شيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَةَ أَلاَ فَمَنِ ادَّعَى الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيَانِيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ». (كمال الدين وتمام النعمة:٢/٥١٦)

فهنا يشير صلوات الله وسلامه عليه إلى أنّ من ادّعى أنّ لديه نيابة عامة عنه عليه السلام أو سفارة أو قد التقى به قبل خروج السفياني فهو كذّاب مفتر.

وقد استعمل الإمام الرضا عليه السلام لفظ الخروج والإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام لفظ القيام، والحال أنّ المعنى واحد بل إنّ الإمام الرضا عليه السلام استعمل الخروج والقيام بمعنى واحد في كلام واحد حيث قال عليه السلام:«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَعْمَلُكُمْ بِالتَّقِيَّةِ»، فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ إِلَى مَتَى؟ قَالَ: «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ وَهُوَ يَوْمُ خُرُوجِ قَائِمِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَمَنْ تَرَكَ التَّقِيَّةَ قَبْلَ خُرُوجِ قَائِمِنَا فَلَيْسَ مِنَّا». (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر:٢٧٤)

وكذلك الحال مع كلمة ظهور، ففي رواية يسأل المفضل الإمام الصادق عليه السلام يقول: (يا مولاي: فكيف بدء ظهور المهدي عليه السلام وإليه التسليم؟ فيجيب الإمام عليه السلام: «يَا مُفَضَّلُ يَظْهَرُ فِي شُبْهَةٍ لِيَسْتَبِينَ، فَيَعْلُو ذِكْرُهُ، وَيَظْهَرُ أَمْرُهُ، وَيُنَادَى بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَنَسَبِهِ... ثُمَّ يُظْهِرُهُ اللهُ كَمَا وَعَدَ بِهِ جَدُّهُ صلى الله عليه وآله فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾»، قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا مَوْلاَيَ فَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾، قَالَ عليه السلام: «هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَوَاللهِ يَا مُفَضَّلُ لَيُرْفَعُ عَنِ الْمِلَلِ وَالأَدْيَانِ الاخْتِلاَفُ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ وَاحِد). (مختصر البصائر:٤٣٥)

ومحل الشاهد من هذا الكلام هو تفسير الإمام عليه السلام لإظهار الله له بالقتال وإزالة الأديان جميعاً غير



دين الإسلام وبهذا لا يبقى هذا المعنى بأن الظهور لا يستعمل بمعنى الخروج، والتفسير للظهور باتضاح بعض الغموض يعني أن الظهور لا يحصل حتى في زمن الغيبة وهذا ما لا يقول به أحد، ولبيان الموضوع أكثر يمكن مراجعة أقوال العلماء والمفسرين في ذلك.

بل يلزم منه أن درجة ظهوره متفاوتة بالنسبة لاختلاف الأشخاص فإن كلاً منهم يعرف الإمام عليه السلام بنسبة معينة، فيكون ظهوره عن هذا أوضح من ظهوره عند ذاك!!

أما ما يتعلق بالرجوع إلى العلماء والفقهاء في فهم مضامين الأحاديث وتطبيقها على مصاديقها فهو أمر ضروري وواضح فهم أهل الاختصاص الذين يجيدون فهم تلك العبارات والمراد منها، ونحن إذا لم نرجع إليهم في ذلك فإلى من نرجع؟

إمّا أن نرجع إلى نفس المدعين أو إلى أشخاص غير العلماء والفقهاء أو يرجع كل شخص إلى نفسه.

فأما الأول وهو الرجوع إلى نفس المدعين فلا يخفى عليك مدى الادعاءات الكاذبة في الأزمان السابقة والذين ادعوا فيها الاتصال بالإمام أو أنه الباب له أو أنهم ممن لهم مواصفات خاصة من أتباع الإمام كاليماني والخراساني والحسني وغيرهم والتي ذهبت ادعاءاتهم أدراج الرياح ولم يظهر الإمام وثبت بالقطع أن الذين أدعوا في تلك الأزمان أنهم الحسني أو الخراساني أو اليماني وغيرها من التسميات أنهم ليسوا المرادين في الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام وهم ليسوا المصاديق الحقيقية لأقوالهم عليهم السلام، والحصيلة أن من يدعي منصباً معيناً يحتمل أن يكون كاذباً كما يشهد بذلك التاريخ فالرجوع إلى نفس المدعي طريق غير صحيح لإثبات صحة مدعاه وأما الرجوع إلى غير الفقهاء والعلماء لفهم أحاديث أهل البيت عليهم السلام معناه الرجوع إلى الجهال ولا أظنك ترضى بالرجوع إلى الجهال بعد عدم رضاك بالرجوع إلى الآخرين حتى لو كانوا علماء.

وقد خرج من الناحية المقدسة التوقيع المبارك بقوله: «أَمَّا ظُهُورُ الْفَرَجِ فَإِنَّهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَكَذَبَ الْوَقَّاتُونَ وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَمْ يُقْتَلْ فَكُفْرٌ وَتَكْذِيبٌ وَضَلَالٌ وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهِمْ».(كمال الدين وتمام النعمة:٢/٤٨٤)

وأما رجوع كل شخص إلى نفسه فلازمه حصول الاختلاف فواحد يدعي مثلاً: أن فلاناً هو اليماني، والأخر يدعي غيره، وثالث يدعي عدم ظهور اليماني لحد الآن، فإلى من نصدق وكيف نرفع الاختلاف؟ وستكون النتيجة أن يظل كل شخص متزمتاً على رأيه فلا نستطيع نحن أقناعك ولا تستطيع أنت أقناعنا.

فكما بيّن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف علينا أن نرجع في قضايا كهذه إلى رواة الأحاديث وإلى من هم اختصاص العلم والفقاهة والدراية، لتمييز الصواب عن غيره.

بقلم: محمد رزاق صالح



خروج السفياني وحكمه وموقفنا منه

لقد تحدثت الروايات الشريفة عن شخصية السفياني بشكل مفصل، وقد احتلت هذه الشخصية مساحة أكثر واهتماماً أعظم من باقي الشخصيات التي ستسبق خروج الإمام المهدي عليه السلام، أو التي ستتزامن مع خروجه عليه السلام، ولعل السبب في حظوته بهذا الكم الكبير من الأحاديث هو الدور الخطير الذي سيلعبه حينما يظهر، والذي سنعرف بعضه فيما يأتي:

إن خروج السفياني لعنه الله من المحتوم

صرح عدد كبير من الروايات الشريفة بأنّ السفياني وخروجه وحركته هي من قبيل الأمور المحتومة - والأمر المحتوم هو الذي لا يمكن إسقاطه ويكون حتمي الوقوع -، ويدل على حتميته رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن من الأمور أموراً موقوفة وأموراً محتومة، وإن السفياني من المحتوم الذي لابد منه» (راجع كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص٣١٣).

وكذلك رواية حمران بن أعين أنّه قال للإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه: «إني لأرجو أن يكون أجل السفياني من الموقوف فقال أبو جعفر عليه السلام: لا والله إنه لمن المحتوم» (راجع كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص٣١٢-٣١٣).

وقد جاء التعبير في بعض الروايات بأنّ الإخبار بخروج السفياني هو من قبيل الوعد الإلهي والله سبحانه لا يخلف الميعاد، وفي بعض الروايات جاء التصريح بأنه لا يكون قائم إلا بسفياني فعن الإمام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه قال: «إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم إلا بسفياني» (راجع قرب الإسناد للحميري القمي: ص٣٧٤. بحار الأنوار للمجلسي: ج٥٢، ص١٨٢. مسند الإمام الرضا للشيخ عزيز الله عطاردي: ج١، ص٢١٧).

في نسب السفياني عليه اللعنة ومحل خروجه وأوصافه

ذكرت الروايات الشريفة أنّ السفياني منحدر من نسل أموي وبالتحديد من أولاد أبي سفيان لعنه الله والد معاوية وجد يزيد لعنهما الله، وقد صرحت الروايات أيضاً بأن هنداً آكلة الأكباد هي جدته، ويكون خروجه من الشام من أرض سميت في الروايات الشريفة بالوادي اليابس.

أما ملامحه وأوصافه البدنية فهو رجل ربعة أي لا بالطويل

ولا بالقصير معتدل الطول ومتوسطه، وفي بعض الروايات وحش الوجه والوحش هو الرديء من كل شيء فيصبح المعنى أنّ السفياني رديء الشكل قبيح المنظر، ولعل وصفه بوحش الوجه جاء بسبب أنّ علامات الوحشية والقسوة بادية على وجهه بحيث لا تخفى على من يراه، أو لعل المعنى هو أنّ من يراه يستوحش منه ولا يستأنس بمشاهدته ولقياه.

ومن أوصافه أيضاً أنّه ضخم الهامة بوجهه أثر جدري والظاهر أنّ هذا الأثر جاءه نتيجة إصابته بهذا المرض قبل أيام ظهوره المشؤوم، أو لعل تلك الآثار جاءت نتيجة تشوه في الخلقة قبل الولادة أو بعدها، ومن أوصافه أيضاً أنّ في إحدى عينيه خللاً بحيث من يشاهده يحسبه أعور العين، وقد روي عن أبي عبد الله الصادق صلوات اللّه وسلامه عليه أنّه قال: «قال أبي صلوات اللّه وسلامه عليه قال أمير المؤمنين صلوات اللّه وسلامه عليه: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر جدري إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفيان» (راجع كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٦٥١).

وعن عثمان عن عمر بن يزيد قال: قال لي أبو عبد اللّه الصادق صلوات اللّه وسلامه عليه: «إنك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس» (المصدر السابق).

اسمه ومدة حكمه المشؤوم

أما اسمه فقد ذكرت بعض الروايات أنّ اسمه هو عثمان ابن عنبسة كما مر في الرواية السابقة، ولكننا نجد في روايات أخرى حينما يُسأل الإمام صلوات اللّه وسلامه عليه عن اسم السفياني فإنّه لا يعير لاسمه أي أهمية ويطلب من السائل التركيز على مواصفات أخرى ومميزات ثانية تعرف من خلالها شخصية السفياني، ولعل عدم الاكتراث لتبيان اسمه ناتج عن أنّ السفياني ربما سيتخذ اسماً آخر يختفي وراءه ويستتر به فيكون التركيز على الاسم وتبيانه لغواً.

فالمهم أنْ نعرف باقي ميزاته التي بها يمكن تشخيصه، والتي منها أنّ السفياني سيحكم خمس مناطق متجاورة وهي التي عبرت عنها الروايات بالكور الخمس، وأنّ مدة حكمه وبقائه في السلطة سيدوم ثمانية أشهر لا يزيد عليها يوماً واحداً فعن عبد اللّه بن أبي منصور البجلي قال: سألت أبا عبد اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه عن اسم السفياني فقال: «وما تصنع باسمه، إذا ملك كور الشام الخمس دمشق، وحمص، وفلسطين، و الأردن، وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج، قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً» (راجع كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق:ص٦٥١ -٦٥٢).

وفي رواية أخرى يوجد تفصيل أكثر وفيها زيادة في مدة حكمه وهي التي عن عيسى بن أعين عن أبي عبد اللّه الصادق صلوات اللّه وسلامه عليه أنه قال: «... ومن أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوما» (كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص٣١٠).

ولا تعارض في ما بين الروايتين الأولى والثانية لاحتمال أنّ الرواية الأولى تتكلم عن مدة حكمه الفعلي، بينما الثانية تتحدث عن ثمانية أشهر التي هي مدة حكمه بإضافة شهر يكون بعد سقوط ملكه فيه بقايا آثار فتنته، شأنه في ذلك شأن كل الدول أو الحكومات التي يتم الإطاحة بها فإنّ بعض آثارها تستمر حتى بعد الإطاحة بها ولفترة تطول أو تقصر، ولعل الرواية التالية عن الإمام الباقر صلوات اللّه وسلامه عليه توضح هذا التفسير والجمع بين الروايتين حيث يقول: «... وإنما فتنته حمل امرأة تسعة أشهر ولا يجوزها إن شاء اللّه» (المصدر السابق: ص٣١٢). وفي قوله (وإنما فتنته) دلالة واضحة على أنّ فترة التسعة أشهر هي مدة حكمه بإضافة ما يستتبعها من آثار سيئة.

وتعليق مدة حكم السفياني بالإشاءة الإلهية في قول الإمام الباقر صلوات اللّه وسلامه عليه: (لا يجوزها إن شاء اللّه) دليل على أنّ فترة التسعة أشهر هي أيضا فترة غير نهائية وغير مجزوم بها على نحو القطع فلربما زادت مدة حكمه وما يستتبعها من فتن على التسعة أشهر وربما نقصت، وهذه الزيادة والنقصان تابعة للظروف الموضوعية التي ستحيط بحركة السفياني والتي سيكون لوح المحو والإثبات كفيلاً بتحديدها قال سبحانه: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

(سورة الرعد، الآية: ٣٩).

فيتضح لنا مما سبق أنّ أصل خروج السفياني حتمي الوقوع لذلك وصف بأنه من المحتوم أما مدة حكمه فهي قابلة للزيادة والنقصان لذلك علقت على المشيئة الإلهية.

في تحديد توجهاته الدينية

والسفياني كما هو الظاهر من الروايات شخص ليس بمسلم أو أنّه مسلم ولكن لديه توجهات صليبية لا تتماشى مع الإسلام وهذا هو المستظهر من قول أمير المؤمنين صلوات اللّه وسلامه عليه: «وخروج السفياني براية خضراء وصليب من ذهب» (مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي: ص١٩٩).

وعن بشير بن غالب قال: (يقبل السفياني من بلاد الروم منتصراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم) (كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤٦٣).

ولو قلنا بإسلام السفياني الملعون فإنّ إسلامه شكلي وهو من الذين لا يعترفون بأحكام اللّه ولا يؤدون فروضه فعن الإمام الباقر صلوات اللّه وسلامه عليه قال: «السفياني... لم يعبد اللّه قط ولم ير مكة ولا المدينة قط» (بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٢، ص٢٥٤).

وقت خروج السفياني

وأما وقت خروجه المشؤوم فقد حدد في الروايات الشريفة بأنه سيقع في شهر رجب فعن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد اللّه الصادق صلوات اللّه وسلامه عليه قال: «إن أمر السفياني من الأمر المحتوم وخروجه في رجب» (كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٦٥٠).

والسفياني كما صرحت به بعض الروايات الشريفة يخرج في نفس السنة التي يخرج فيها الإمام المهدي صلوات اللّه وسلامه عليه، فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي صلوات اللّه وسلامه عليهما أنه قال: «السفياني والقائم في سنة واحدة» (كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص٢٧٥).

ويكون خروج السفياني الملعون كما بيّنا سابقاً في شهر رجب، وأما خروج الإمام المهدي صلوات اللّه وسلامه عليه فيكون في شهر محرم فعن أبي بصير قال: قال أبو جعفر صلوات اللّه وسلامه عليه: «يخرج القائم عليه السلام يوم السبت يوم عاشورا اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام» (كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص٦٥٤).



أي إنّ بين الإمام المهدي صلوات اللّه وسلامه عليه وبين السفياني الملعون ستة أشهر.

مدى حقد السفياني على الشيعة

والسفياني يكون في بداية أمره مشغولاً في حروب طاحنة لأجل السيطرة على الكور الخمس التي ذكرناها من قبل، فيكون من بداية ظهوره إلى مدة شهر أو شهرين مشغولاً عن أتباع أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين بغيرهم، فيقتل في سبيل السيطرة على الحكم خلقاً كثيراً من غير الشيعة، ولكنه لعنه اللّه ما إنْ يستقر حكمه ويحكم القبضة على الكور الخمس يتوجه إلى الشيعة بالإبادة والاستئصال، حتى لا يكون له همٌّ غير قتل أتباع أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين وفنائهم فعن الإمام الباقر صلوات اللّه وسلامه عليه أنّه قال: «وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوكم، وهو من العلامات لكم مع أن الفاسق لو قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعد خروجه لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم... فإن حنقه وشرهه فإنما هي على شيعتنا» (كتاب الغيبة

لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص٣١١).

وقوله عليه السلام: (وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوكم) معناه أنّ الوقائع التي ستقع ما بينه وبين أعدائه من غير أتباع أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين ستصب من ثم في مصلحة الموالين لأهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين لأنّ كل نقص يصابون به في الأنفس والأموال يعد ربحاً ولأنّ اختلافهم وتنازعهم خير من اجتماع بعضهم مع البعض الآخر ضد الحق وأهله.

أما قوله عليه السلام: (وهو من العلامات لكم) فمعناه أنّ السفياني وخروجه من الدلائل والعلامات التي تستدلون بها على قرب الفرج وظهور الإمام صلوات اللّه وسلامه عليه

وعن أبي عبد اللّه الصادق صلوات اللّه وسلامه عليه قال: «كأني بالسفياني أو صاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنادى مناديه من جاء برأس رجل من شيعة علي فله ألف درهم فيثب الجار على جاره يقول هذا منهم فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم» (الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤٥٠).

خروج الخراساني واليماني

والسفياني لا يخرج حتى يخرج معه شخصان هما:

أولاً: اليماني

وهو من أرض اليمن وبالتحديد من مدينة صنعاء، فعن عبيد بن زرارة قال: «ذكر عند أبي عبد اللّه ـ عليه السلام ـ السفياني فقال: أنى يخرج ذلك ولما يخرج كاسر عينيه بصنعاء» (راجع كتاب الغيبة للشيخ النعماني: ص٢٨٦، الباب ١٤، ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم، الحديث رقم ٦٠).

ثانياً: الخراساني

الذي هو من أرض خراسان في أرض إيران، فعن الإمام الصادق صلوات اللّه وسلامه عليه قال: «خروج الثلاثة الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق» (المصدر السابق: ص٤٤٦).

وعن الإمام الباقر صلوات اللّه وسلامه عليه قال: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة وفي شهر واحد وفي يوم واحد ونظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه...» (بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٢، ص٢٣٢).

وبناءً على هذه الأحاديث فإن خروج اليماني والخراساني يكون مقترناً بخروج السفياني ومن يدعي كونه اليماني أو الخراساني من أرباب رايات الضلال في وقتنا هذا وفي غيره يكذبهم كون السفياني غير موجود قطعاً ولو كانوا محقين في دعواهم للزم عليهم أولاً إثبات وجود السفياني وأنّه حاكم حالياً للكور الخمس وغير ذلك مما أثبتته الروايات سابقاً ودون إثبات ذلك خرط القتاد، أو يلزمهم تكذيب هذه الروايات الصحيحة والتي بإنكارها وتكذيبها الكفر الصريح، فإذا لم يفعلوا هذا ولا ذاك لزمنا وجميع الناس تكذيبهم وتسخيف أقوالهم والوقوف بوجه انحرافاتهم حتى لا تأخذهم العزة بالإثم ويتمادوا في غيهم.

توصيات للنجاة من فتنة السفياني

ولصعوبة فتنة السفياني الملعون وشدتها على شيعة أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين ومحبيهم صدرت عدة توصيات من قبل الأئمة عليهم السلام يجب على من يريد النجاة من تلك الفتنة أن يتبعها وهي التي جاء ذكرها في رواية الإمام الباقر عليه السلام: «أن الفاسق لو قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعد خروجه لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم. فقال له بعض أصحابه: فكيف نصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ قال: يتغيب الرجل منكم عنه، فإن حنقه وشرهه فإنما هي على شيعتنا وأما النساء فليس عليهن بأس إن شاء اللّه تعالى. قيل: فإلى أين يخرج الرجال ويهربون منه؟ فقال: من أراد منهم أن يخرج، يخرج إلى المدينة أو إلى مكة أو إلى بعض البلدان، ثم قال: ما تصنعون بالمدينة، وإنما يقصد جيش الفاسق إليها، ولكن عليكم بمكة فإنها مجمعكم، وإنما فتنته حمل امرأة: تسعة أشهر، ولا يجوزها إن شاء اللّه» (كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ص٣١١ – ٣١٢).

أقول: الظاهر أنّ مدة الشهر والشهرين التي يكون فيها السفياني مشغولاً عن الشيعة كافية لمعرفة أمره وكشف حقيقته وأنّه هو السفياني الذي جاء ذكره في الروايات الشريفة وعليه يكون الوقت كافياً للخروج من الكوفة أو المدن التي سيدخلها وتغييب الوجه عنه وعن جيشه.

بقلم: أسامة محمد حسن



ولادة علي الأكبر عليه السلام

ولد علي الأكبر في الحادي عشر من شهر شعبان سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة قبل مقتل عثمان بسنتين. (أنيس الشيعة:٢/٤٥٦)

فيكون له يوم الطف ما يقارب سبعاً وعشرين سنة ويؤيّده اتّفاق المؤرّخين وأرباب النسب على أنّه أكبر من الإمام السجاد عليه السلام الذي له يوم الطف ثلاث وعشرون سنة.

كنيته عليه السلام

جاء في زيارة علي الأكبر المروية عن أبي حمزة الثمالي أن الإمام الصادق عليه السلام قال له:

«ضع خدّك على القبر وقل: صلّى الله عليك يا أبا الحسن ثلاثاً».(كامل الزيارات:٢٤٠)

وكما يحتمل أن تكون الكنية للتفاؤل بالولد الحسن، يحتمل أنها صدرت بعد أن كان له ولد سمّي (الحسن)، والإمام الصادق في نفس الزيارة يقول أيضا: «صلّى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك وأمّهاتك الأخيار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

ولفظ الأبناء جمع يدلّ على أنّ لعلي الأكبر عليه السلام أكثر من الولدين الاثنين.

كما أن قوله عليه السلام (وعلى عترتك) دالٌّ عليه أيضاً فإن عترة الرجل ذريته فلو لم يكن له ذرية لما صحّ استعمال هذا اللفظ وورود هذه الجملة في لسان الإمام العارف بخواص البلاغة ومقتضيات الأحوال أقوى برهان.

وغير خافٍ أن هذه الرواية رواها الشيخ الجليل ابن قولويه في (كامل الزيارة) بسند صحيح ورجال ثقات.

لقبه عليه السلام

لقّب السيد الشهيد (بالأكبر) لكونه أكبر من الإمام زين العابدين وقد صرّح بذلك السجاد عليه السلام حين قال له ابن زياد: أليس قتل الله عليّاً؟ فقال الإمام: «كان أخ أكبر مني، يسمّى علياً فقتلتموه».(المناقب:٢/١١٢)

ولقد وصف السجاد بالأصغر والشهيد بالأكبر جماعة من المؤرخين منهم:

١. قال ابن قتيبة في المعارف ص ٩٣: ولد الحسين عليُّ الأكبر أمّه بنت أبي مرّة وعليُّ الأصغر أمه أم ولد. وفي ص ٩٤ قال: وأما علي بن الحسين الأصغر فليس له عقب إلا منه.

٢. قال الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٥٦: لم ينج من أصحاب الحسين وولده وولد أخيه إلا ابنه علي الأصغر.

٣. قال السهيلي في الروض الأنف ج ٢، ص ٣٢٦: قتل معه بالطف علي الأكبر وأما علي الأصغر لم يقتل معه، أمّه أم ولد اسمها سلافة بنت كسرى يزدجرد.

٤. قال الديار بكري في تاريخ الخميس ج ٢، ص ٣١٩: كان زين العابدين ابن ثلاث وعشرين سنة وهو علي الأصغر وأما علي الأكبر فإنّه قتل مع أبيه.

شبهه عليه السلام بجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

لم ينص المؤرخون على مشابهة آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم له في جميع الصفات إلا في ولده الأكبر.

فعن جابر الأنصاري أن فاطمة الزهراء عليها السلام تشبه أباها في المشية.

ورواية الصدوق تشهد بأن الحسن شابه جده في الهيبة والسؤدد والحسين في الجود والشجاعة (الخصال:١/٣٩)،

وأخرج الحاكم النيسابوري عن علي عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجعفر الطيار: «أشبهت خلقي وخلقي».(مستدرك الحاكم:٣/٢١١)

ويحدث الشيخ الجليل الشيخ فخر الدين الطريحي في المنتخب أن الحسين قال في حق الرضيع: «اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسول الله محمد عليه السلام».

وهذه الشواهد كلها لا تدل على مشابهة العترة الطاهرة للرسول في جميع الصفات الكريمة.

لكن كلمة الحسين الذهبية في حق ولده الأكبر: «اللهم اشهد أنه برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه». (اللهوف:٦٣)

ترشدنا إلى أن فقيد بيت النبوة كان في وقته مرآة الجمال النبوي وأنموذجاً من منطقه البليغ الرائع، حتى أن أباه عليه السلام إذا اشتاق إلى رؤية ذلك المحيا الأبهج الذي يقول فيه حسان مصرحاً بالحقيقة غير مبالغ:

وأحسن منك لم تر قط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ عن كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

صفاته عليه السلام

إن من مكارم الأخلاق أن يتحلى المرء بالصفات الحميدة ويتخلى من العادات الذميمة وهذه الأخلاق سواء أكانت حميدة أم ذميمة يكتسبها المرء وراثياً، وبيتياً، ومجتمعياً. وشرائع السماء التي بعثها الله سبحانه وتعالى لخلقه عن طريق رسله وأنبيائه كلها تدعو إلى مكارم الأخلاق، لا سيما رسالة سيد الأنبياء ورسله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فهو يريد أن يجعل حياة البشرية كلها حياة هانئة رغيدة خالدة، لا تبيدها الحقب والأعوام لأن رسالته خاتمة الرسالات».

وعلي الأكبر عليه السلام هو ربيب ذلك البيت الطاهر الذي هو خلاصة الوجود من طيب الأرومة ومكارم الأخلاق، من حلم، وعلم، وشجاعة، وكرم، وتواضع، وبلاغة، وما إلى ذلك من المكارم التي ليس من العجيب أن يرثها عن آبائه.

محاورة علي الأكبر مع أبيه الحسين عليه السلام

في حديث لعقبة بن سمعان قال: (لما كان السحر من الليلة التي بات الحسين عليه السلام فيها بقصر بني مقاتل أمرنا بالاستسقاء ثم ارتحلنا، فبينا هو يسير إذ خفق الإمام الحسين عليه السلام برأسه خفقة وانتبه وهو يسترجع ويقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين»، كرر ذلك ثلاثاً.

فأقبل إليه ابنه علي الأكبر وكان على فرس له، وقال له: (جعلت فداك مم استرجعت وحمدت الله؟)، فقال الحسين عليه السلام: «خفقت برأسي خفقة فعرض لي فارس يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا».

قال علي الأكبر عليه السلام: (يا أبت ألسنا على الحق؟)، فقال الحسين عليه السلام: «بلى والذي إليه مرجع العباد»، فقال علي الأكبر عليه السلام: (إذاً لا نبالي أن نموت محقين).

فقال الحسين عليه السلام: «جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده».(لواعج الأشجان:٩٨)

قبره الطاهر عليه السلام

إذا نظرنا إلى فعل الإمام زين العابدين في وضع (علي الأكبر) قريباً من أبيه الحسين عليه السلام نعرف من ذلك الغرض الباعث له، وهو تعريف الناس وعلى مر العصور بما حواه علي الأكبر عليه السلام من مزايا جليلة وصفات فاضلة، وأنه أقرب من بقية الشهداء إلى المهيمن تعالى لما حواه من ملكات لا تدركها أحلام البشر.

قال الإمام الصادق عليه السلام لحماد البصري: «إن الحسين بن علي غريب مدفون بأرض غريبة يبكيه ويحزن له من لم يزره ويحترق له من لم يشهده ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجليه في أرض فلاة ولا حميم قربه ولا قريب ثم منع الحق وتوازر عليه أهل الردة حتى قتلوه وضيعوه وعرضوه للسباع ومنعوه شرب ماء الفرات الذي يشربه الكلاب وضيعوا حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيته به وبأهل بيته فأمسى مجفواً في حفرته صريعاً بين قرابته وشيعته بين أطباق الثرى قد أوحش قربه في الوحدة والبعد عن جده والمنزل الذي لا يأتيه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرفه حقنا؛ ولقد حدّثني أبي أنه لم يخل مكانه منذ قتل من مصلّ عليه من الملائكة أو من الجن والأنس أو من الوحش وما من شيء إلا ويغبط زائره ويتمسح به ويرجو في النظر إليه الخير لنظره إلى قبره؛ وإن الله ليباهي الملائكة بزائريه؛ وأما ما له عندنا فالترحم كل صباح ومساء؛ ولقد بلغني أن قوماً من أهل الكوفة وناساً من غيرهم يأتونه في النصف من شعبان فبين قارئ يقرأ وقاص يقص ونادب يندب ونساء يندبنه وقائل يقول المراثي». فقال حماد: قد شهدت بعض ما تصف. قال الصادق عليه السلام: «الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا وجعل عدونا يطعن عليهم ويقبح ما يصنعون».(مزار البحار:١٢٤)

الغيبة عدم الظهور وليس عدم الحضور



من الأمور الضرورية التي يجب الالتفات إليها في ولاية أهل البيت عليهم السلام، هي أنّ ولاية أهل البيت ليست معطّلة.

فهناك تراكمات في المفاهيم بنحو خاطئ، وهذه التراكمات قد تسبب في تعبير وفهم معاني واستنتاجات ومفاهيم خاطئة جداً، وذلك نتيجة البناء الخاطئة التي أقيم على هذه المفاهيم.

فالمفاهيم العقائدية تحتاج بين الحين والآخر إلى تصحيح وتصفية وإحياء.

إنّ أهل البيت عليهم السلام أكّدوا على التجديد في الدين، ومن صفاتهم عليهم السلام أنّهم مجددون للدين.

كلمة (الجديد) في اللغة العربية الحالية لها معنى مختلف عمّا نحن في صدد بيانه، وذلك لأنّ كثيراً من المفاهيم والمعاني للكلمات انقرضت وذلك بسبب توظيف معانٍ خاطئة كانت سابقاً ولم تُدرك.

إن كلمة (الجديد) يعني: الشيء الحي والطري، وليس بمعنى الشيء المغاير.

وقيل مُجَدَّد: اسم مفعول مِنْ جَدَّدَ. بِنَاءٌ مُجَدَّدٌ: أَيْ وَقَعَ تَجْدِيدُهُ. مُجدِّد القوَّة: عامل يساعد على التَّقوية وتجديد النَّشاط الجسمانيّ بعد المرض.

كَاتِبٌ مُجَدِّدٌ: مُبْتَكِرٌ لِأَسَالِيب أَوْ مَوَاضِيعَ جَدِيدَةٍ. مُجَدِّدٌ: أي مصلح.

فحينما يقال إنّ الإمام يأتي بدين جديد، ليس بمعنى التغيير أي يعني يأتي بدين غير هذا الدين الموجود؛ بل المعنى هو إحياء الدين وتصحيح جملة من المفاهيم الخاطئة التي جاءت بسبب الترسبات وبسبب التعبيرات الخاطئة من الناس ومن الجهلاء؛ فيأتي الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بتصحيح هذه التعبيرات وبإحياء جملة من المفاهيم الدينية في الشريعة الإسلامية.

فالدين الجديد يعني الإسلام حي، وقد يرد عليه السلام الحياة والنشاط والحيوية إلى الإسلام، كما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحين جاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في الحجاز وبعثه الله تعالى بالشريعة الإسلامية بدين جديد وهو الإسلام، فهنا أيضاً الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف يأتي بحيوية جديدة للإسلام وللمفاهيم في الشريعة الإسلامية التي أنزلها الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، فتكون هناك حياة جديدة للدين، فعندما يأتي الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف بدين جديد أي يأتي ليحيي الدين، وليس ليغيّر الدين أو يأتي بدين جديد غير هذا الدين.

ومن صفات أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم مجدّدون للدين، أي بالمعنى الأدق إذا كان هناك موتٌ لجملة من المفاهيم الدينية والعياذ بالله في باب من أبواب الدين سواء كان في الفروع أو الأخلاق أو الاعتقادات أو العبادات أو غيرها من الشريعة الإسلامية التي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب الرسوبات والتراكمات والجهالات وغيرها، يأتي الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ليحيي ذلك الباب، فهذا يطلق عليه كلمة (جديد) أي قد جدّد الدين وليس غيّر الدين، معنى التجديد يعني التصحيح، أي تصحيح ما صار خطأً.

إنّ تغيير بعض المفاهيم في الشريعة الإسلامية هي من أخطر الأمور التي تصاب بها الأمة، فهناك دور للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ودور للمعصومين عليهم السلام تباعاً للنبي وأيضاً دور للدائرة الاصطفائية الثانية فضلاً عن الدائرة الاصطفائية الأولى لإرجاع الحياة والنشاط والحيوية وتصحيح وتصفية المفاهيم في الشريعة.

وهذا شبيه ما هو موجود في زيارات أمير المؤمنين عليه السلام حينما نقرأ: (اعتدل بك الدين) أو (قوي بك الدين)، والمقصود بالدين (الإسلام).

فهذا الإسلام الذي متجسد في سيرة وسلوك الناس دوماً يحتاج إلى نوع تصفية وغربلة، فما يقوم به الإمام المعصوم في عصرنا هذا عصر الغيبة الكبرى هو تصحيح المفاهيم وتصفية المعاني لبعض أبواب الشريعة الإسلامية.

وهذا نفسه ما قام به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بداية الدعوة إلى الإسلام، حتى جاء بدين كامل وتام عن باقي الأديان بل وردّ الحياة إلى الشريعة الإلهية التي كانت قد تغيّرت المفاهيم فيها وقد اختلفت المعاني في الشرائع السماوية السابقة التي أنزلها الله تعالى على سائر الأنبياء والمرسلين، فجاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بدين الإسلام لإعطاء حياة جديدة للشريعة الإلهية السماوية.

فإنّ من ضمن المفاهيم في الشريعة التي مرّت على أجيال مختلفة مدة قرون وسنوات عديدة هو مفهوم (الغيبة).

وقد عرّف بعض الفلاسفة والمفكرون كلمة (الغيبة) بأنها تعني الانقطاع والجمود والمتاركة والعياذ بالله لشؤون البشر والأمة الإسلامية والشريعة، وهذا معنى خاطئ ومختلف مع معنى الاعتقاد بالإمام وبإمامة الإمام المعصوم وبولايته التشريعية والتكوينية ومتناقض تمام التناقض مع ما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

فكيف يمكن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام يتركون البشرية والأمة الإسلامية والحال أنّهم أصحاب التشريع وأمناء الله، بيدهم مفاتيح الغيب وهم خزان العلم كما نقرأ في زيارة الناحية (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزَّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ، وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأُمَنَاءَ الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُه).

وإذا تدبّرنا في مفهوم الغيبة نكشف معنى غيبة صاحب العصر والزمان أنّها ليست بمعنى أنه عجل الله تعالى فرجه الشريف منقطع عنّا، منقطع عن التشريع الإسلامي والأمة الإسلامية، وليس هذا الانقطاع إلى فترة بعد ذلك يحضر الإمام عليه السلام ويأتي بإصلاح ما فسد من أمور المسلمين، فهذه ليست حضوراً في مقابل غياب، فنهاية الغيبة هي الظهور وليست حضوراً، لأنه صلوات الله وسلامه عليه حاضر ومن قال إنّه غير حاضر!

فعن عباد عن عمرو عن أبيه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها ولعذبهم الله بأشد عذابه وذلك أنَّ الله جعلنا حجة في أرضه وأماناً في الأرض لأهل الأرض لن يزالوا في أمان أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهرهم، فإذا أراد الله أن يهلكهم ثم لا يمهلهم ولا ينظرهم، ذهب بنا من بينهم ورفعنا إليه...».

فهذا بيان صريح على أنّ الإمام المعصوم عجل الله تعالى فرجه الشريف هو بيننا حاضر موجود ولكنه غير ظاهر، فالحضور تختلن عن الظهور، فغيبة صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ليست بمفهوم



الجهة التكوينية والتشريعية فحسب، بل حتى بمفهوم الإدارة والأسباب، لأنّ لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها!!

وبما أنّ الأمة الإسلامية والمسلمين كلّهم بحاجة إلى قضايا أمنية كالأمن الصحي والأمن الإداري والأمن الاقتصادي والأمن الأخلاقي والأمن الأسري وإلى ما شابه ذلك، فهناك حاجة إلى وجود من يدير هذه الأمور، مثلاً إذا لم يكن هناك أمن أسري لكانت إبادة جماعية للمسلمين ولكان هناك تآكل.

فالأمن بالمعنى العصري الجديد هو المحافظة والمراقبة والإدارة، فكيف يكون الإمام عليه السلام واضعاً يده على يده الأخرى وتاركاً الأمة وهو في الغيبة، أعوذ بالله حاشا لله، فالغيبة بمعنى خفاء هوية وليس بمعنى الانقطاع والترك والانعزال.

هذه من إحدى المفاهيم في الشريعة الإسلامية الخاطئة التي ترتبط بأصل الاعتقاد بالإمامة وولاية أهل البيت عليهم السلام، فلا يمكن أن يقال إنّ الإمام سلام الله عليه غائب ونتيجة الغيبة هي التخلي عن المسؤولية والانعزال عن أمور الدنيا لحين يأتي وقت الحضور! بل الإمام حاضر موجود لكنّه غائب عن الأنظار ولديه مسؤوليات كثيرة في العالم الإسلامي بل تزداد مسؤولياته عليه السلام بين حين وآخر، فإنّ إدارة المجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر أصعب بكثير من باقي الأزمنة.

فالإمام المعصوم عليه السلام عليه أن يتحمّل المسؤولية الأمنية والمسؤولية الاقتصادية والمسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الصحية للأمة وغير ذلك من المسؤوليات والوظائف الإلهية التي جعلها الله في عاتقه عليه السلام، باعتباره هو الخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين، فهو عجل الله تعالى فرجه الشريف يكابد كل هذه السنوات والقرون في إدارة البشر.

فظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وتصحيح بعض المفاهيم الإسلامية في الدين والشريعة الإسلامية هي كمسح الغبار من المفاهيم الحقيقية لبعض الأبواب في الشريعة الإسلامية، والغيبة كما أنها وردت في الروايات الشريفة من المفاهيم الاعتقادية والنورانية وهي مزيد من الاستحكام في الإدارة والنشاط والحيوية والسلطة والمسؤولية في عصرنا هذا.

لكن معنى الغيبة في السابق كأنه الضعف أو الفترة التي يضعف فيها إنجاز المشروع الإلهي، والوصول إلى إنجاز الغائب - أعوذ بالله - لكنها ليست ضعفاً، بل هي فترة تنامي قوة وازدياد قوة؛ فضلاً عن ذلك إذا نظرنا إلى نتيجة الترسبات نرى التغيير في المفاهيم والمصطلحات في القرون السابقة واليوم.

والغيبة مفهوم ديني عظيم ومقدس وحياني ورد به النص الوحياني بشكل تسالمي وقد انمحى حقيقته عما هو عليه، فكثير من المفاهيم الدينية هكذا.

فمسخ المفاهيم أو تحويرها أو تغييرها وتلبّدها أو امتزاجها بمفاهيم أخرى مباينة لا صلة لها فهذا شيء مهم يجب الالتفات إليه، وكثير ما يقع الإنسان في المفاهيم العقائدية.

بقلم: الشيخ محمد السند

الفرق بين النبي والإمام

قيل إنّه: لا يذكر الشيعة فرقاً كبيراً بين الأنبياء والأئمة، حتى قيل إنّه: (ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل إلى عقولنا فرق بين النبوة والإمامة) (بحار الأنوار:٢٦/٢٨)

والسؤال: ما أهمية عقيدة ختم النبوة إذاً؟! إذا كانت الوظائف والخصائص التي اختص بها الأنبياء دون الناس من عصمة وتبليغ عن الله ومعجزات وغيرها لم تتوقف بوفاة خاتم الأنبياء محمد؟ بل امتدت من بعده متمثلة باثني عشر رجلاً؟!

الجواب:

أولاً: إنّ هذا العالم الذي أشار إليه السائل يقول: إنه هو لم يستطع أن يصل عقله في هذه المسألة إلى معرفة الفرق.. فلعل غيره من العلماء قادر على الوصول إلى النتائج المتوخاة، وتمكن من معرفة الفرق الذي عجز هو عن معرفته.

ثانياً: إن المجلسي نفسه قد صرح في نفس كلامه هذا بقوله: (لابد لنا من الإذعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء).

وقال أيضاً: (لعل الفرق بين الأئمة عليهم السلام وغير أولي العزم من الأنبياء: أن الأئمة عليهم السلام نواب لرسول الله صلى الله عليه وآله لا يبلغون إلا بالنيابة؛ وأما الأنبياء وإن كانوا تابعين لشريعة غيرهم، لكنهم مبعوثون بالأصالة، وإن كانت تلك النيابة أشرف من تلك الأصالة...).

فاتضح من كلام المجلسي رحمه الله: أن الشيعة يرون فرقاً بين النبوة والإمامة.

ثالثاً: إن إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام قد نال مقام الإمامة بعد نيله مقام النبوة والخلّة والرسولية، لأنه نال الإمامة في آخر حياته.

وهذا يعني: أن للإمامة معنى عظيماً يحتاج إلى دراسة وتأمل، وقد يكون هناك أنبياء ليس لهم مقام الإمامة، وأئمة لم ينالوا مقام النبوة.

ومقام النبوة الخاتمة هو المقام الأكمل، والأتم، والأجل والأفضل، وللإمامة المرتبطة به، والوصاية من قبله مقام عظيم وجليل مستمد من جلال مقام النبوة الخاتمة بالذات، فلا معنى لقول السائل: ما أهمية عقيدة ختم النبوة إذاً؟!

رابعاً: إن العصمة ليست من مختصات النبوة الخاتمة، بل هي من خصوصيات النبوة والإمامة مطلقاً وفي كل زمان.

كما أن التبليغ، والمعارف الخاصة لا تختص بالنبوة الخاتمة، بل تشمل كل نبوة وإمامة أينما وجدت، وفي أي زمان كانت.

فلا معنى لقول السائل: إن العصمة يجب أن تتوقف بوفاة خاتم الأنبياء.

إذاً لماذا تتوقف بوفاته، إذا كانت ليست من خصائصه؛ بل هي عامة لكل نبوة وإمامة؟!

خامساً: إن ما يجب أن يتوقف بوفاته صلى الله عليه وآله هو التبليغ عن الله وهي النبوة، لأن النبوة قد ختمت برسول الله صلى الله عليه وآله.

أما المعجزات فإن كانت بمعنى ما يثبت النبوة، فهي أيضاً قد توقفت بوفاة الرسول، وأما المعجزة لأجل إثبات الإمامة، من خلال الاستفادة من علم الكتاب، كاستفادة آصف بن برخيا منه لإحضار عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس، فهي لم تنقطع أيضاً بوفاة النبي صلى الله عليه وآله، بل هي باقية مع كل إمام عنده علم الكتاب.

بقلم: السيد جعفر العاملي



صاحب اليوم السعيد

قالت أراك باسماً والوجهُ زاهرٌ نَدي ... قلتُ وشهري صآدحٌ كثغريَّ المُغرِدِ

قالت لأجلِ بدرِ شعبآنَ وليدَ نصفهِ ... قلتُ نعم يوم أنحنى الكونُ لِفخرِ مولِدِ

قالت أتعني المُرتجَى من آلِ بيتِ المُصطفَى ... قلتُ بلى هو الهدى هلُمي نقفو نقتدي

قالت مسيحٌ مذهبي لستُ على ملتكم ... قلتُ عسآهآ تحتكم كنرجسٍ وتهتدي

قالتْ وقلبي معكم يسكنني مهديُكُم ... قلتُ عسى ساكنُكِ مُنجيكِ من تمعمدِ

قالت فصف صاحبكم إنّي بشوقٍ صفهُ لي ... قلتُ دويبةُ الثرى لوصفِ نجم فرقدِ

قالت أجل صفهُ أبنْ إني بشوقٍ صِفهُ لي ... قلتُ كُوَيْكِبٌ عَلا شمسَ عُلىً لم أعهَدِ

قالت أحقٌ أمرهُ يؤنسُ بعد جفوةٍ ... فقلتُ اي يؤنسُنآ وإني نآضرٌ غدي

قالت فما غيبتهُ لم انكفاء نورهِ ... قلتُ بنفسي وأبي من مُقتَفىً مهددِ

قالت وما تُمَني النفسَ لحينِ أوبة ... قلتُ بأن أكون نعْمَ ناصرٍ مُمهدِ

قالتْ تنادي غائِباً لا مُدْرِكاً لا سامعاً ... فقلت لا بل حاضراً يسمعنَي ألا ارشدي

قالتْ وكيف خالدٌ إمامكم مسرمدٌ — فقلتُ والخضرُ كذا أليس بالمخلد
قالتْ فهل من مثل لغائب مُرتجع — قلتُ حسامٌ مثلاً مُحتجبٌ في مغمد
قالت وزدني مثلاً لغائب مُرتجع — قلتُ وشمسٌ مثلاً غُطتْ بذي تلبد
قالت وزدني مثلاً لغائب مُرتجع — قلتُ وموسى كفهُ حجبٌ تُلي بمشهد
قالت وزدني مثلاً لغائب مُرتجع — قلتُ عُزيرٌ مثلاً عُزيرُ يُبدي مقصدي
قالت وزدني مثلاً لغائب مُرتجع — قلتُ وكهفُ نُوَمٍ وكلبُهم لا تجحدي
قالت أهكذا هوىً لغائب مستتر — قلتُ هوى عبادةٍ لولا وجودُ الصمد
قالت أغوثٌ أمرهُ والغيثُ في ظهوره — فقلتُ اي وترتوي كلُّ قفار جلمد
قالت لعل العدلَ في ظهوره منتصرٌ — فقلتُ اي وينتهي عهدُ عُتاة النمرد
قالت وهل إمامكم ذو قوة ذو وفرة — فقلتُ اي كالمرتضى ممتشقُ السيف بدي
قالت وهل ألقابهُ كحجة وقائم — قلتُ بلى وصاحب الأمر كذا والسيد
قالت وهل قائمكم يؤمُ عيسى سجدةً — فقلتُ اي يؤمهُ لا ديرَ بل في مسجد
قالت فما نهارهُ وكيف يمضي ليلهُ — قلتُ النهارَ صائمٌ والليلُ ليلُ هُجد
قالت وما جمالهُ ءآيةٌ كيوسف — قلتُ لئن أظهرهُ آمن كلُّ ملحد
قالت إذاً آيتهُ حسنُ صفاء وجنة — قلتُ ومن يرمقهُ رُقي من الترمُد
قالت كحيلُ طرفهُ لمّتهُ ناعمةٌ — قلتُ وأقنى أنفهُ دليلهُ خالُ خَد
قالت أذو طلاوة أجلى الجبين واضحٌ — قلتُ بلى ووجههُ كصفحة الزمرد
قالتْ وهل من أثر فيه لسبطي الهدى — قلتُ هو جودُ الحسن وهو حسينُ السؤدد
قالت لأي معدنٍ يعود أصلُ درّه — قلتُ اللجينُ فاطمٌ ومن عليِّ العسجد
قالتْ فدوحةٌ إذاً والذهبان بذرها — قلتُ بلى وفرعها الأملودُ ذو التأود
قالت وهل والدهُ شريد أرض عسكر — قلتُ وأيُّ جدهُ آمنُ لمْ يشرد
قالت فمن آباؤهُ هلا أبنتهم لنا — قلتُ أبٌ قد شاقهُ عساكرُ المعتمد
قالت أليس جدهُ نقيُّ سُرَّ مَن رأى — قلتُ وَسُرَّ مَنْ رأى الجوادَ ذا التورُد
قالت أجدهُ الرِّضا بسجن بغداد قضى — فقلتُ لا لهفي لهُ من كاظم مُصفد
قالت وموردُ العلوم صادقٌ جدّ لهُ — قلتُ بلى وباقرٌ للعلم كلَّ مورد
قالت وهل جدٌ لهُ يُكنى بزينِ السجد — فقلتُ اي والدهُ غريبٌ يوم أسود
قالت أليس جدهُ أبو محمد الزكي — فقلتُ لا ذا عمهُ كبدٌ بكتها كبدي
قالت عليٌ جدهُ دكَّ حصونَ خيبر — قلتُ بلى مجلجلاً أفتحها بمفردي
قالت بماذا خصهُ القرانُ لله وليّ — قلت بخاتم زكاهُ راكعاً لمُجتدي
قالت وهل نُصَّ به أم شورى في سقيفة — قلتُ سلي غديرَ خُم ويداً بعد يد
قالت وهل جدتهُ شافعةٌ لكم غدا — قلتُ كطير تنتقي بطينَ حب من ردي
قالتْ فمرحىً فاطمٌ قم فلنزرها نحتفي — قلتُ لها جدتهُ بغير ذات مرقد
قالتْ بأي شرعة به استبيحت هاشمٌ — قلتُ اجتهادُ مخطئ أو خطأُ المجتهد
قالت وهل حبيبكم محمدٌ خاتمها — قلتُ الزمي سبيلهُ طائعةً تشهدي
قالت إلهي اسمهُ وابنهُ وروحهُ — قلتُ الحصيفُ الجامعُ الثلاثة بواحد
قالت فنعمَ غائبٌ لنعم أسمى مرسل — قلتُ وعيسى مثلهُ روحُ الإله الأوحد
قالتْ لقد أجبتني سوى سؤال واحد — فقلتُ هاتي ما بدى وما خفى وزودي
قالتْ فما اسمُ صاحبِ اليومِ السعيدِ الأمجدِ — قلتُ سميُّ المصطفى أحمدُ من محمد

بقلم: محمد قبازرد

آثار الخلافات الزوجية على سلوك الطفل



منذ عدة عقود والباحثون يعلمون أن الأطفال الذين ينشأون في أجواء منزلية تعصف بها المشاكل، خاصة تلك التي بين الوالدين، سيعانون من اضطرابات نفسية وسلوكية وتعليمية واجتماعية.

وكان تعليل ظهور الاضطرابات في الجانب التعليمي غامضاً إلى حد كبير، مما حدا بكثير من الباحثين إلى إجراء دراسات لمعرفة السبب.

أحد أهم البحوث التي حاولت جلاء حقيقة الأمر في هذا الجانب هو ما نشرته مجلة تطور نمو الطفل الأميركية في عدد يناير/ فبراير الحالي، والتي فيها يشير الباحثون إلى دور مؤثّر لاضطراب نظام النوم اليومي لدى الطفل، على مقدار نجاحه في التحصيل العلمي الدراسي.

ومن جهة أخرى يرى الباحثون في دراسات أخرى في نفس عدد المجلة المذكورة أن الشجار بين الزوجين أمام الطفل أو المراهق يؤثر سلباً على الأمان العاطفي لديه مما يجعل من الصعب عليه التفاعل مع العالم الخارجي من حوله، كما ويعطي انطباعاً سلبياً عن مشاكل ذويهم ونظرتهم إلى الزواج برمته.

نوم الطفل واضطرابه

عرض الباحثون من جامعة إيبيرن في ألباما بالولايات المتحدة نتائج ملاحظة قياس مقدار ووتيرة الخلافات بين الزوجين وعلاقتها بنوم الطفل، وذلك بناء على ما يخبر به كل من الزوجين والطفل كذلك.

وشملت الدراسة متابعة تأثير الخلافات الزوجية على نوم ٥٥ طفلاً ممن تتراوح أعمارهم ما بين ثماني إلى تسع سنوات.

وذهبوا بعيداً في ملاحظة وتقييم نوم الطفل، فبالإضافة إلى ما يخبر به الطفل نفسه عن نومه، عمد الباحثون إلى حد الطلب من الطفل لبس جهاز أكتغراف (**Actigraph**)، أو راصد الحركة، وهو ما يشبه ساعة المعصم، بغية رصد وقت ذهابه للسرير وخلوده إلى النوم وحركاته أثناء نوم الليل وحالات استيقاظه وغير ذلك من الأحداث، وذلك لمدة سبعة أيام متتالية.

وساعد هذا الباحثين كثيراً في الحصول على معلومات أكثر دقة حول جوانب عدة من نوم الطفل.

كما أن انتقاء نوعية عناصر الشريحة التي شملتها الدراسة من الأطفال ووالديهم تم بناء على خلو الطفل من أي تشخيص نفسي لاضطرابات في النوم، ومن الأزواج الذين تعتبر درجة مشاكلهم ضمن المعدل الطبيعي لها.

الذي وجده الباحثون هو أن الطفل من المنزل الذي درجة المشاكل الزوجية فيه عالية، عادة ما يذهب إلى سريره للنوم في وقت شبيه بالطفل من المنزل ذي درجة متدنية من تلك

المشاكل، أي أن وقت النوم لا فرق فيه بين الأطفال من كلا المنزلين، ولا تأثير للمشاكل الزوجية عليه، وخصوصاً أنه لا يجعل الطفل يذهب مبكراً للنوم خوفاً مما يجري في المنزل أو ليتخلص من الإزعاج أو الضرر الذي قد يلحق به أو غير ذلك.

لكن الملاحظ أن الطفل الذي يعاني من منزل مشحون بالخلافات ينام وقتاً أقصر أو ربما لا ينام بالليل مقارنة بغيره، ويتحرك ويتقلب كثيراً على السرير، كما أن هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى أن يناموا بالنهار سواء في المدرسة أو المنزل.

هذه الاضطرابات في نوم الطفل كانت أوضح وأقوى في التأثير عليه عند الاعتماد على تقرير الطفل عن وجهة نظره في خلافات أمه وأبيه وهو ما دعمته وأيدته نتائج تحليل معلومات جهاز أكتغراف الراصد للحركة.

فمن كانت رؤيته ونظرته إلى مشاكل والديه أنها كبيرة كان تأثر نومه أكبر.

وهو ما علقت عليه البروفسورة منى الشيخ الباحثة الرئيسية من جامعة إيبيرن في ألباما بأن النتائج تقول حتى ضمن العائلات التي يرى البعض أن درجة الخلافات الزوجية فيها هي ضمن الطبيعي فإن تأثير غضب أحد الوالدين أو شجارهما من السهل أن يؤدي إلى اضطرابات في نوم الطفل.

وهذا الأمر مهم بدرجة بالغة لأن النقص المتوسط في مدة نوم الطفل سيؤثر سلباً على تعليم الطفل ويضعف همته ويزيد من توتره ويقلص من قدرات التحكم في العواطف لديه.

وأضافت أن هذه النتائج تفرض على الزوجين التعامل مع الخلافات بينهما ومساعدة الأطفال على تفهم دواعيها.

دور الوالدين

والمتأمل فيما تقدم من الدراسة يلحظ ثلاثة أمور على الوالدين أن يأخذوها في الاعتبار، الأول هو تأثر مدة ونوعية نوم الطفل وليس وقت الذهاب إليه، فاعتقاد الوالدين بأن الطفل لم يتأثر نومه نتيجة الشجار العائلي بمجرد ذهابه إلى السرير في الوقت المعتاد لا يعني شيئاً وليس صحيحاً.

الثاني أن ما يراه الطفل وليس الوالدان من درجة الخلاف هو الأمر المهم، وهنا يأتي علو درجة فهم الوالدين لنفسية وعقلية الطفل، فالأم أو الأب عليهم أن يمتلكوا قدرة النظر إلى الأمور بنفس الطريقة التي ينظر إليها الطفل وذلك إن أرادوا أن يُحسنوا تربيته ويلبوا احتياجاته بشكل صحي وسليم.

والثالث هو تأثير اضطرابات النوم السلبي على تحصيل الطفل التعليمي، الأمر الذي يجب أن يهذب من سلوك الوالدين أمام أبنائهم خاصة عند حصول حالات إخفاق دراسي لدى الطفل، فمن السذاجة بمكان أن يعاقب أحد الوالدين الطفل على تأخير في التحصيل العلمي للطفل بدلاً من مراجعة الوالدين لسلوكهم داخل المنزل كسبب محتمل لما حصل لتعليم وتحصيل الطفل.

الأمان العاطفي

من جهتهم يرى الباحثون من جامعات كل من نوتردام بإنديانا وروشستر بنيويورك والجامعة الكاثوليكية الأميركية بواشنطن، في دراستين منفصلتين نشرتا في نفس عدد مجلة «تطور نمو الطفل» الأميركية، أن الكيفية التي تعامل بها الآباء والأمهات مع الخلافات الزوجية لها دور مهم في تدهور شعور الطفل بالأمان والتأثيرات المستقبلية على عواطفه.

ويعلق الدكتور مارك كيمنغ من جامعة نوتردام على بحثه قائلاً إن الأمان العاطفي للطفل هو الجسر الذي يربط بين الطفل والعالم من حوله، والاستقرار الأسري هو صمام الأمان العاطفي، فكلما كانت العلاقة الزوجية قوية كانت قدرات الطفل على اكتشاف العالم الخارجي وعلاقاته مع الآخرين فيه أقوى.

والمشاكل الأسرية تدمر هذا الجسر مع العالم، الأمر الذي يجعل من الصعب على الطفل اقتحام العالم من حوله أو التفاعل مع ما يجري فيه.

واعتمدت هذه النتائج بناء على دراستين طويلتين، الأولى شملت متابعة ٢٢٦ طفلاً ووالديهم ممن أعمارهم ما بين ٩ و١٨ سنة لمدة ثلاث سنوات، وجدت أن الشجار المنزلي المحطم كالذي يشمل إهانة شخصية أو يتطلب من أحد الزوجين الدفاع عن النفس، أو يؤدي إلى انسحاب أحدهما، أو يؤدي إلى حزن أو خوف، هو ما يؤدي بالطفل إلى ظهور الاكتئاب أو القلق أو اضطرابات السلوك.

والدراسة الثانية بحثت أموراً في نفس الجوانب لكنها شملت ٢٣٢ من الأطفال الأقل سناً ووالديهم.

ولذا علق الدكتور كيمينغ بقوله إن على الوالدين تعلم كيف أن يكون الخلاف العائلي أمراً بناء وليس مدمراً، أي من أجل الأبناء ومن أجل أنفسهم، عبر إبدائهم وانخراطهم في وضع حلول عملية وإيجابية للمشاكل الأسرية.

هذا وإن الشجار بين الزوجين أمام الطفل أو حتى إهمال أحدهما للآخر، يترك أثراً من الأفكار السلبية عن الزواج والوالدين لدى الطفل، ويستمر هذا لديه لمدة طويلة.

ويقول الدكتور باتريك ديفس أحد الباحثين في الدراستين إن حضور الطفل ومشاهدته للشجار المحطم بين الأزواج ينتج عنه عدم استقرار نفسي لدى الطفل ومعاناة من أفكار سلبية في مواجهة مثل هذه المشاحنات الأسرية تستمر لديه لمدة طويلة.



أراد الإمام الجواد عليه السلام أن يبين للأمة أنّ إدارة البشر والكون بأكمله لا يمكن أن تكون بيد البشر نفسه وبقدرته، بل يجب أن تكون بالإنزال والمدد الإلهي، والإرادة الإلهية التي هي بيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أولاً ومن بعده بيد الإمام المعصوم من بعده عليه السلام.

وذلك تحقيقاً لنظرية ولعقيدة ولأصل من أصول الدين ألا وهو (لا جبر ولا تفويض).

فإنّ الأمور غير مفوّضة للبشر، والناس غير مجبرين عليها بل تحت قاعدة (أمر بين أمرين).

وقاعدة (أمر بين أمرين) يعني وجود الإمام والخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهنا لابد من وجود خليفة الله في الأرض.

لأنّ الإمام المعصوم هو مجمع الكمال، هو (اللولب)، وهو الذي يدور الكون من أجله، لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها.

إنّ في هذا العصر عصر الغيبة عصر الخفاء عصر صاحب الزمان أن الذي يدير قطب رحى الكون والعالم في كل أمورها كل تموجاتها ومحاورها كل العواصف التي تعصف بالبشرية كالأخلاقية والاقتصادية والأمنية والعسكرية، هو الإمام المعصوم عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والمدير والمدبر ليس هو إلا صاحب العصر والزمان عجل

اللّه تعالى فرجه الشريف.

لكن صاحب الزمان عليه السلام غير مـأذون له أن يحسم الموقف، لأنّ صبر أهل هـذا البيت طويل وذلك للوظائف المهمة التي على عاتقهم وهي تربية البشر؛ وهم مأمورون بتربية الناس لا بنحو الجبر.

فإذا كان الجبر فما الفائدة من التربية وما الفائدة من حكمة الامتحان وما الفائدة من خلقة عالم الدنيا.

كما يقول الإمام أمير المؤمنين أيضاً «أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»، وهكذا يخاطب عليه السلام كل البشر.

حس المسؤولية بين الجبر والتفويض

الكثير عندما يسمع الوعد الإلهي والتقادير الإلهية بأمر يترقب من ذلك متى تقع ومتى تحصل.. كيف لا وقد قدّر اللّه قدر حتم وقضى قضاء إبرام أن الأمر المعين واقع لا محالة، فليس منا إلا الانتظار بمعنى التفرج والترقب.

إن كان من المحتوم أنّ الإمـام الحسين عليه السلام يستشهد في المعركة في مقابل جيش الضلال فما الداعي من المكابدة في تجهيز الجيش والسير بالعيال إلى كربلاء.

أولاً: ظهور الإمام المهدي عجل اللّه تعالى فرجه وإقامة دولة العدل والقسط.

ثانياً: إنّ اللّه سيظهر هذا الدين ﴿ على الدين كله ولو كره المشركون ﴾.

ثالثاً: إنّ الشهادة محتومة على الإمـام المعصوم عليه السلام، فما بال هذه المكابدة منه في مواجهة بني أمية.

رابعاً: إنّ الملك الظالم له أجل لا يتقدم ولا يتأخر كما ورد في الروايات ولو طاولته الجبال لطاولها.

وغير ذلك من الموارد.

والحال أنّ الأمور لم تقرر في سنة اللّه تعالى التكوينية على الجبر، كما أنّ المقادير لم تبنَ في التقدير الإلهي على الإلجـاء، بل هي أمـر بين أمـريـن، كما أنّها لم تبنَ على تفويضها بيد العباد بل على سنة الاختيار وهيمنة المشيئة الإلهية، وهذه الهيمنة لا تبيد الاختيار للإنسان، وهذه السنة في كل الأمور فإنّ اختيار الإنسان أيضاً هو من التقادير غير المنافية لنفس الاختيار.

ألا ترى كيف أن النبي يونس أنـذر قومه بالعذاب ولما شارف عليهم فلم ييأسوا ولم يستسلموا لانقطاع الأمل بل بادروا للأمل برحمة اللّه وتضرعوا بعد أن أرشدهم إلى ذلك علماؤهم - كيف انجلى عنهم ما كان مبرماً من القضاء وحتما من القدر؟!

ومـن ثـم كـانـت عقيـدة الـبـداء مـن أعـظـم الـثـوابـت الاعتقادية في التوحيد؛ لأن عمق البداء ترسيخ لحقيقة الاختيار من الأمر بين الأمرين (لا جبر ولا تفويض) وهذه المعادلة بحر مـوّاج ومحيط مترامي الآفـاق، فليس قبل وقوع المحتوم المبرم سد لباب النشاط والفاعلية والحركة والأمل، وكذلك لاحظ أنّ سيد الأنبياء صلى اللّه عليه وآله موعود بالنصر والتأييد، وصف منذ نزول الكتب السابقة على الأنبياء (بالمنصور المؤيد) لكن ذلك لم يعنِ تأييده ونصره من اللّه تعالى كله بنحو الإعجاز والإلجاء من فعل السماء إذاً لبطلت سنة الامتحان، بل قام صلى اللّه عليه وآله بأعظم المثابرة والسعي وجاهد في اللّه حق الجهاد ومر بمكابدة زلازل عظيمة في مواجهة الأعداء والخصوم ولم يكن ما قدّر له وقضي شرب ماء مستساغ سهل يسير، بل عناء تتفطر منه الجبال وتنشق من ثقله الأرض.

فمن هنا وغيره من المشاهد للأنبياء والرسل القرآنية والروائية والتاريخية تتجلى الصورة واضحة أنّ قراءة الوعد الإلهي في الوحي بقراءة قدرية و بجبرية وقوع الأمور هي تفسير باطل، بل لسان الوحي في الآيات والروايات من الوعد الإلهي أو الإنباء بوقوع أمـور هو لبيان جانب نفي التفويض وأنّ الأمر والأمور ليست كلها بيد البشر والعباد والخلق بل جانب هيمني منها بيده تعالى، بل الأمـر كله بيده تعالى لكن لا بمعنى إجبار العباد على المقادير بل تجري مقاديره من قنوات اختيار وأفعال البشر والخلق.

وعلى ذلك فتحمل المسؤولية هي لباب غاية عقيدة لا جبر ولا تفويض إنما هو أمر بين أمرين وهو الثمرة لعقيدة البداء، وأنّ لا مبرر للتقاعس والتخاذل والتقهقر والجمود والهروب من عبء المسؤولية وثقلها.

وعلى ضوء ذلك فأي قراءة لنص ديني أو لعقيدة راسخة بتفسير قدري ومسلك القدرية المتملص من المسؤولية فإنه مرفوض زيغ عن طريق الهدى.

بقلم: الشيخ محمد السند



موقف العباس عليه السلام في كربلاء

موقفه عليه السلام قبيل كربلاء

(جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أمّا بعد، فَحُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة، كما صُنع - بالتقيّ الزكي المظلوم أمير المؤمنين - عثمان بن عفّان، قال: فبعث عمر بن سعد عمرو ابن الحجّاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث، قال: ونازله عبد الله بن أبي حصين الأزدي وعداده في بجيلة، فقال:

(يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبد السماء، والله! لا تذوق منه قطرة حتّى تموت عطشاً). فقال الحسين عليه السلام: «اللّهمّ اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً».

قال حميد بن مسلم – راوي الخبر -: (والله! لعُدتُه بعد ذلك في مرضه، فو الله الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيتُه يشرب حتّى يبغر، ثمّ يقيء، ثمّ يعود فيشرب حتّى يبغر، فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتّى لفظ غُصّته، يعني نفسه).

قال: (ولمّا اشتدّ على الحسين وأصحابه العطش دعا العبّاس بن عليّ بن أبي طالب أخاه، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة، فجاؤوا حتّى دنوا من الماء قليلاً، واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال البجلي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: (مَن الرجل؟ ما جاء بك؟).

قال: (جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه، قال: فاشرب هنيئاً، قال: لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان، ومَن ترى من أصحابه.

فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنّما وُضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء، فلمّا دنا منه أصحابه قال لرجاله: املؤوا قربكم، فشدّ الرجالة، فملؤوا قربهم، وثار إليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه، فحمل عليهم العبّاس بن عليّ ونافع بن هلال فكفوهم، ثمّ انصرفوا إلى رحالهم، فقالوا: امضوا، ووقفوا دونهم، فعطف عليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه واطّردوا قليلاً.. وجاء أصحاب الحسين بالقرب فأدخلوها عليه). (تاريخ الطبري:٤/ ٣١١)

وقال المفيد في الإرشاد: (فلما رأى العباس بن علي عليهما السلام كثرة القتلى في أهله، قال لأخوته من أمه - وهم عبد الله وجعفر وعثمان - يا بني أمي، تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، فإنه لا ولد لكم، فتقدّم عبد الله فقاتل قتالاً شديداً، فاختلف هو وهانئ بن ثبيت الحضرمي ضربتين فقتله هانئ لعنه الله.

فتقدم بعده جعفر بن علي رحمه الله فقتله أيضاً هانئ، وتعمّد خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي رضي الله



عنه، وقد قام مقام أخوته فرماه بسهم فصرعه، وشدّ عليه رجل من بني دارم فاحتزّ رأسه.

وحملت الجماعة على الحسين عليه السلام فقلبوه على عسكره واشتد به العطش، فركب المسناة يريد الفرات وبين يديه العباس أخوه، فاعترضه خيل ابن سعد وفيهم رجل من بني دارم فقال لهم: ويلكم حولوا بينه وبين الفرات ولا تمكنوه من الماء، فقال الحسين عليه السلام: «اللهم اظمئه». فغصب الدارمي ورماه بسهمه فأثبته في حنكه، فانتزع الحسين عليه السلام السهم وبسط يده تحت حنكه فامتلأت راحتاه بالدم فرمى به ثم قال: «اللّهمّ إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك». ثم رجع إلى مكانه وقد اشتد به العطش.

وأحاط القوم بالعباس فاقتطعوه عنه فجعل يقاتلهم وحده حتى قتل رضوان الله عليه وكان المتولي لقتله زيد ابن ورقاء الحنفي وحكيم بن الطفيل السنبسي ـ لعنهما الله ـ ، بعد أن أثخن بالجراح فلم يستطع حراكاً). (إرشاد المفيد:١٠٩)

وفي شهادته عليه السلام قال القاضي النعمان: (وكان الذي ولي قتل العباس بن علي يومئذ يزيد بن زياد الحنفي، وأخذ سلبه حكيم بن طفيل الطائي، وقيل إنه شرك في قتله يزيد، وكان بعد أن قتل أخوته، عبد الله وعثمان وجعفر معه قاصدين الماء، ويرجع وحده بالقربة فيحمل على أصحاب عبيد الله بن زياد الحائلين دون الماء.

فيقتل منهم ويضرب فيهم حتى ينفرجوا عن الماء فيأتي الفرات فيملأ القربة، ويحملها، ويأتي بها الحسين عليه السلام وأصحابه، فيسقيهم حتى تكاثروا عليه، وأوهنته الجراح من النبل فقتل كذلك بين الفرات والسرادق وهو يحمل الماء، ثم قبره رحمه الله.

وقطعوا يديه ورجليه حنقاً عليه، ولما أبلى فيهم وقتل منهم فلذلك سمي السقاء، وفيه يقول فضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبد الله بن العباس ابن علي عليه السلام:

أحق الناس أن يُبكى عليه
فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي
أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء
وجاء له على عطش بماء

وقتل العباس بن علي وهو ابن أربع وثلاثين سنة وقتل عبد الله بن علي يومئذ وهو ابن خمس وعشرين سنة وقتل عثمان بن علي وهو ابن إحدى وعشرين سنة وقتل جعفر ابن علي وهو ابن سبع عشرة سنة.(شرح الأخبار للقاضي النعمان:٣/ ١٩١)



ادعاءات السفارة والمهدوية

روى الشيخ الصدوق، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام، في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري – قدس الله روحه –فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً، نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام؛ فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل؛ وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً؛ وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».(كمال الدين:٥١٦.)

لا يخفى أنّ ثمّة ظاهرة مثيرة للاهتمام منتشرة في الأوساط الإسلامية، ولاسيما الشيعية منها، وهي ظاهرة ادعاء المهدوية أو السفارة عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، أو الاتصال به بشكل أو بآخر؛ وهذه الظاهرة توجب الكثير من الإرباك ويترتب عليها الكثير من المفاسد والسلبيات، ولهذا علينا إيلاؤها أهمية وعناية بالنظر والدرس، لنتعرف على أسبابها وتاريخها وكيفية معالجتها.

ولا يخفى أنّ ادعاءات كهذه مغرية وجذابة، فهي مغرية للكثيرين من أهل المطامع والمصالح، ممن يعملون على التلبيس على الناس وخداعهم وتضليلهم؛ وهي ادعاءات جذابة، لأنها تتصل بقضية غيبية وحساسة ترتبط بعالم النهايات، وهو عالم يتطلع وينشد إليه الإنسان بطبيعته، ولاسيما المؤمن بالفكرة المهدوية، الأمر الذي يفسّر سرّ هذا الانخداع من قبل الكثيرين من البسطاء.

ادعاءات متعددة

في البداية، نشير إلى أنّ دعاوى التواصل مع الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه اتخذت أشكالاً مختلفة ومتعددة منها:

- دعوى السفارة والوكالة، بحيث يزعم الشخص أنّه سفير أو وكيل عن الإمام عجل الله تعالى فرجه أو باب إليه، ومأمور بنقل توجيهات الإمام إلى الأمة.

- دعوى النسب والمصاهرة، وهذا ما لاحظناه مؤخراً حيث ادعى بعضهم أنّه ابن الإمام المهدي عجل الله فرجه، أو أنّ الإمام عجل الله فرجه متزوج بأخته.

- دعوى أنّ الشخص هو أحد الشخصيات التي لها دور في حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه، أو في التمهيد له،

كدعوى البعض أنّه اليماني، وهذا لعله أمر جديد.

- هذا ناهيك عن دعوى المهدية نفسها؛ وفي الغالب، فإنّ دعوى الوكالة تجرّ إلى ادعاء المهدوية، وربما ترقى إلى ادعاء النبوّة، وبحسب قول الشيخ الطوسي: (وكل هؤلاء المدعين إنّما يكون كذبهم أولاً على الإمام عجل اللّه فرجه وأنهم وكلاؤه، فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثم يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية، كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائهم...).(غيبة الطوسي:٣٧٩)

- وهناك شكل آخر من أشكال التواصل التي تدعى، وهو دعوى الرؤية أو الاجتماع بالإمام المهدي عجل اللّه فرجه؛ وهذا الشكل من التواصل لا ينكر إمكانه الكثير من الفقهاء، بل لا ينكرون وقوعه.

الظاهرة قديمة جديدة

وبالمناسبة، فهذه الظاهرة ليست جديدة، بل إنها قديمة جداً.

قد ادعى الكثيرون أنّهم سفراء الإمام عجل اللّه فرجه أو نوابه، إن بالنسبة للإمام الحجة المنتظر عجل اللّه فرجه أو بالنسبة لمن سبقه من الأئمة عليهم السلام.

وقد عقد الشيخ الطوسي رحمه اللّه باباً خاصاً لذكر المذمومين من مدعي السفارة، والنيابة عن الإمام المهدي عجل اللّه فرجه؛ ولذا فادعاء الاتصال - بشكل أو بآخر - مع الإمام المهدي عجل اللّه فرجه ليس بالجديد.

ولكن الجديد في الأمر، هو أنّ وسائل الإعلام تستغل الحدث وتعمل على نشره.

قال الشيخ الطوسي: (ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية والسفارة كذباً وافتراءً لعنهم اللّه: أولهم المعروف بالشريعي... ومنهم محمد بن نصير النميري... ومنهم أحمد بن هلال الكرخي... ومنهم: أبو طاهر محمد بن علي بن بلال... ومنهم الحسين بن منصور الحلاج... ومنهم ابن أبي العزاقر؛ ثم يذكر منهم: أبا دلف الكاتب). (غيبة الطوسي: ٣٩٨)

هؤلاء بعض الأشخاص الذين ادعوا السفارة في زمن الغيبة الصغرى وما قاربها، وهو زمان امتحان شديد، مرّ به أتباع أهل البيت عليهم السلام، لأنّهم لم يكونوا معتادين لظاهرة الغيبة؛ ولذا كثر الدجالون ومدعو السفارة في تلك الحقبة.

أمّا بعد حصول الغيبة الكبرى، فلم تتوقف هذه الظاهرة بل توالت الادعاءات.

وقد أحصى السيد المرعشي النجفي رحمه اللّه في بعض رسائله جمعاً من مدعي النيابة، فبلغوا ما يزيد على عشرين شخصاً.

وفي زماننا شاهدنا وسمعنا عن عشرات الأشخاص من مدعي التواصل مع الإمام عجل اللّه فرجه.

سلبيات هذه الظاهرة

وهذه الظاهرة - بطبيعة الحال - لها سلبيات خطيرة، ومن أبرزها السلبيتان التاليتان.

أولاً

إنّها تمثّل مادة خصبة لمنكري العقيدة المهدوية لاستغلال هذه الادعاءات، في سعيهم ومحاولاتهم لتشويه صورة العقيدة المهدوية، وصورة المعتقدين بها.

فهذا الاستغلال لاسم الإمام المهدي عجل اللّه فرجه، وتوظيفه بهذه الطريقة الرخيصة، يدفع أولئك إلى تسخيف العقيدة المهدوية نفسها.

وقد لاحظنا كيف تعمل بعض وسائل الإعلام المغرضة أو التي تهدف إلى الإثارة واجتذاب المشاهدين إلى الترويج لهؤلاء ونشر مزاعمهم وبث آرائهم، ناهيك عن أن الفرصة قد أصبحت متاحة لهؤلاء لنشر أفكارهم والترويج لها عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ثانياً

إنّ هذه الادعاءات الكاذبة تخلق الكثير من الإرباك في أوساط المؤمنين، وتثير الكثير من الشكوك في نفوس الجماعة المؤمنة، وربما يصل الأمر إلى حد ضلال بعض المؤمنين وانحرافهم عن العقيدة السوية؛ ولهذا لا تجوز الاستهانة بهذه الظاهرة أو الاستخفاف بها، لأنّها قد تؤدي إلى التأسيس لحركات هدامة وخطيرة. ألم تبدأ الحركة البهائية بدعوى البابية، ثم ترقت الأمور ووصلت إلى ما وصلت إليه؟!

بقلم: الشيخ حسين الخشن



الخلفيات والدوافع في ادعاء السفارة

ومن المهم في دراسة ظاهرة إدعاء السفارة أن نقف عند خلفياتها ودوافعها، فإنّ ذلك يسهل عمليّة احتوائها ويساعد على مواجهتها والتعامل معها.

وما نقدر أنّها الأسباب والعوامل الأساسية وراء هذه الظاهرة - وذلك بحسب تتبعنا لتاريخها - هي الأمور التالية:

أولاً: السعي إلى تخريب الدين

فإنّ السعي الواعي والمقصود إلى تخريب الدين، وإرباك الساحة الإيمانية، وإضعاف الجماعة المؤمنة بإثارة القلاقل في أوساطها من خلال هذا الخداع والتضليل هي من الدوافع في ادعاء السفارة.

وهذا ما يفسر لنا أنّ أحد مدعي السفارة وهو أبو دلف الكاتب - مثلاً - يكون ملحداً، ومن ثم يظهر الغلو كما يذكر بعض علمائنا الأجلاء ممن عاصره. (غيبة الطوسي:٤١٢)

ولعلّ محمد بن نصير النميري كان واحداً من هؤلاء الذين رموا بادعائهم البابية إلى تخريب الدين.

وقد روى الشيخ الطوسي عن سعد بن عبد الله قال: كان محمد بن نصير النميري يدعي أنه رسول نبي وأن علي ابن محمد عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لا يحرم شيئاً من ذلك). غيبة الطوسي:٣٩٨)

ثانياً: السذاجة والجهل المركب

فإنّ بعض الأشخاص قد يكونون من أصحاب النوايا الطيبة في بادئ الأمر، ويخيّل إلى أحدهم أنه يتواصل مع الإمام عجل الله فرجه، أو أنه اليماني أو ربما

المهدي نفسه.

فينخرط في هذا الأمر ويدّعي ذلك، وربما انقاد له بعض السذج أو زيّن له بعض الخبثاء، وأصحاب الأغراض الخاصة هذا الادعاء، وأغروه وشجعوه، ما يجعله يتمادى في وهمه ولا يصغي للنصائح والمواعظ، ولا يعير بالاً للحجج التي تفنّد مزاعمه وتبطل أوهامه.

ثالثاً: حب الظهور والسلطة

وهذا العامل هو من العوامل الأساسية والتي نجدها حاضرة في معظم ادعاءات المهدوية، أو السفارة أو التواصل بشكل أو بآخر مع الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وقد حدثتنا بعض الروايات عن أنّ رجلاً في الزمن الأول أراد أن يكون ذا شأن ويشار إليه بالبنان، فأقدم على ادعاء النبوة؛ ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا إنك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلك على شيء تكثر به دنياك وتكثر به تبعتك؟ فقال: بلى فقال: تبتدع ديناً وتدعو إليه الناس ففعل فاستجاب له الناس فأطاعوه فأصاب من الدنيا ثم إنه فكّر فقال ما صنعت ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه وما أرى لي توبة إلا أن آتي من دعوته فأرده عنه فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول إن الذي دعوتكم إليه باطل وإنما ابتدعته فجعلوا يقولون كذبت هو الحق ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتداً ثم جعلها في عنقه وقال لا أحلها حتى يتوب الله عليّ، فأوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء قل لفلان: وعزتي وجلالي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد من مات على ما دعوته ويرجع عنه». (الوافي:٥/ ٨٤٧)

رابعاً: السعي إلى جني المال

ومن العوامل التي يمكن رصدها وراء هذه الظاهرة، هو استغلال هذا الادعاء في محاولة لجني الأموال وجمعها من خلال استغفال الناس وخداعهم.

فإنّ الشخص المدعي عندما يزعم أنه وكيل الإمام عجل الله فرجه، فمن الطبيعي وفقاً لما هو المعروف لدى الشيعة الإمامية أنّ الأموال لا بدّ أن تجبى إليه.

يذكر الشيخ الطوسي أنّ مدعي البابية أبا طاهر محمد ابن علي بن بلال، له قصة معروفة في هذا المجال، وذلك (فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وتمسكه (أي ابن بلال) بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها، وادعاؤه أنه الوكيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان عجل الله فرجه ما هو معروف). (غيبة الطوسي:٤٠٠)

خامساً: الحسد

وهو عامل نفسي خطير يدفع بعض الناس إلى ادعاءات كاذبة وتلفيق مزاعم واهية، حنقاً وحسداً منهم لبعض من يقدرون أنّهم أولى منه في تسنم منصب معين من المناصب الدينية أو السياسية أو الإدراية.

وهذا السبب نجده حاضراً في المقام، فبعض مدعي الأشخاص دفعه الحسد لادعاء النيابة.

يقول الشيخ النجاشي: (محمد بن علي (بن) الشلمغاني، أبو جعفر المعرف بابن العزاقر، كان متقدماً في أصحابنا، فحمله الحسد لأبي القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب، والدخول في المذاهب الردية حتى خرجت فيه توقيعات، فأخذه السلطان، وقتله وصلبه). (رجال النجاشي:٣٧٨)

ويظهر من بعض الروايات اعتراف الشلمغاني بالخطأ، وأن حبّ الدنيا هو الذي دفعه وغيره إلى ادعاء هذه المزاعم، حيث قال فيما روي عنه: (ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف...). (معجم رجال الحديث:١٨/ ٥٢)

سادساً: أعداء الأمة

وعلينا أن لا نغفل في هذا المقام عاملاً مهماً وخبيثاً يقف وراء بعض هذه الادعاءات أو أنه يعمل على استغلالها ودعمها، وهذا العامل هو أجهزة الاستخبارات المعادية لأمتنا والتي تعمل على تخريب الساحة الإسلامية، فتدخل على خط هذه المزاعم، كونها تشكل أرضيّة خصبة لإثارة



القلاقل والفتن، بما يثلم وحدة الجماعة المؤمنة، وهذا ما حصل مع الحركة البهائية، فقد كان لأصابع أجهزة السفارة الروسية آنذاك دور في حماية رموزها، ثم تحول مقرها إلى عكا في فلسطين، وأصبحت لاحقاً في رعاية الكيان الصهيوني، وفي الموازاة فقد رعت قوات الاحتلال البريطاني في الهند حركة أخرى في الوسط السني وهي حركة القاديانية.

فالنتيجة أنّ بعض الأشخاص تقصر همته عن نيل المراكز العالية، والدرجات العالية في هذه الدنيا بالطرق المألوفة والمعهودة؛ لأنها تحتاج إلى استقامة وبذل الجهد، مضافاً إلى توفر كفاءات خاصة، فيلجأ إلى الوسائل التي لا تخلو من خداع وتلبيس، ويستعيض عن عجزه في نيل المعارف والمراتب العلمية باللجوء إلى ادعاءات علم الباطن والتأويل.

العلاج والموقف

أعتقد أنّه إذا لم يكن بالإمكان إيقاف ظاهرة ادعاءات المهدوية أو البابية أو نحوها بشكل كلي وحاسم، فلا ريب أنّ بإمكاننا واستطاعتنا الحدّ منها وتطويق تأثيراتها السلبية، وذلك:

أولاً

بالعمل الجاد والدؤوب وبشتى الوسائل على فضح التزييف وبيان التدليس وتزييف الخداع، فثمة مسؤولية كبيرة لابدّ أن يتحملها أهل العلم والمعرفة في هذا الصدد وأن لا نتعامل باستخفاف ولا مبالاة بحجة أنّ هذا المدعي للبابية أو نحوها هو شخص تافه أو ساذج فما أكثر ما انخدع الناس بدعوات السفهاء أو السذج وانحرفوا عن الصراط السوي.

ثانياً

العمل على تثقيف جمهور المؤمنين على ثقافة الاستعداد للظهور والانشغال بإصلاح النفس وتهذيبها بدل الانشغال والانهماك بعلامات الظهور ورسم خارطة ناجزة لحركة الظهور، إنّ طريقة مقاربتنا لعلامات الظهور مسألة حساسة ومهمة، فإنّ القراءة الإسقاطية لهذه العلامات على واقعنا، فضلاً عن أنّها لا تخلو من التوقيت المنهي عنه في الروايات وفضلاً عن كونها مجرد إسقاطات ظنيّة لا تمتلك عناصر موضوعية تبعث على الوثوق بها، فإنّها تغري وتغذي ظاهرة ادعاء البابية والسفارة أو التواصل مع الإمام عجل الله فرجه بشكل أو بآخر وتدفع باتجاه وقوع الكثيرين من البسطاء في هذا الفخ وسرعة تصديقهم لهذه الادعاءات.

ثالثاً

تثقيف المجتمع والناس على أنّ ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هو مرتبط بهم، فإذا أراد الناس ظهور المنقذ والمصلح ومن يقوم بتطهير الأرض فعليهم أولاً أن ينظفوا أنفسهم عن الشوائب والعلاقة بينهم وبين هذه الدنيا، وليس تتبع الأحاديث في العالم وتطبيقها كما في الروايات الشريفة من أحوال وأحداث الظهور؛ فإنّ انشغال الناس في علامات الظهور والحوادث التي تحدث قبل ظهور الإمام سلام الله عليه أكثر بكثير من انشغالهم بأمورهم الأخروية وبحقوقهم مع الناس ومع المجتمع فضلاً عن حقوقهم مع الله عزّ وجل.

إنّ عدم ظهور الإمام المهدي عليه السلام وقيامه هو مرتبط بعدم وجود أنصار وأعوان، وليس بعدم حدوث الحوادث المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) في التاريخ.



المهدي الموعود

كثير من البشر يؤمن بأمر ما يقيناً إلاّ أنّه عملياً يتصرّف على خلاف ما يتيقّن منه، وكأنّه لم يسمع به.

من الأمور اليقينية التي كثيراً ما يؤمن البشر بها هو الله عزّ وجل وقضية المعاد.

فالإنسان يعيش حياته ويتعامل مع أسباب ومسببات هذا الكون ومع الناس وكأنّ الله خلق هذا الخلق وتركه وانقطع عنه ناسياً أن قوانين هذا الكون يفيض عليها الله تعالى الاستمرارية والتأثير في كل لحظة.

وغافلاً عن أنّ الخلق يجري كله نحو هدف واحد يعود فيه إلى أصله ومنبعه.

فها هي الأجساد والأجسام كلها تعود إلى أصلها وهكذا الإنسان روحه كجسده، تعود إلى حقيقتها وأصلها اللامادي الروحاني كما يعود الجسد إلى أصله: ألا وهو التراب.

والأمثلة لا تعد ولا تحصى حيث نسمع يومياً بالعشرات بل بالمئات من البشر ينتقلون من هذا العالم إلى العالم الآخر، وإلى البرزخ.

إنّ هذين الأمرين يؤمن بهما كل البشر - وجود الخالق الباري عزّ وجل وأنّ المعاد والبرزخ والحساب يوم القيامة لابد منه - حتى من لم يعرف الأديان السماوية هو بين متيقّن وشاك بهذين الموضوعين.

ومن الأمور المشابهة للأمرين السابقين هو الإيمان بالعدل الإلهي في وجود من يقيم العدل بين الناس في هذا الكون، فلا يكون العدل إلا بيد عادل نائب عن النبي صلى الله عليه وآله الذي أرسله العادل الباري عزّ وجل للناس ليحكم بينهم بالعدل.

الإيمان بالعدل يعني الإيمان بالمنتظر والمخلص والموعود، فقد أجمعت كل الأديان السماوية على اختلافها، بل غير السماوية أيضاً على الإيمان بهذه الحقيقة، ألا وهي حقيقة أنّ هناك مخلصاً سيأتي وينشر السلام، والعدل، والحرية، والسلام، والخير؛ وينصر المظلوم ويقيم الحق ويقضي على الفقر والجوع ويحقق مقتضيات هذه المفاهيم التي هي واحدة عند البشر ولا يختلف في معناها أحد.

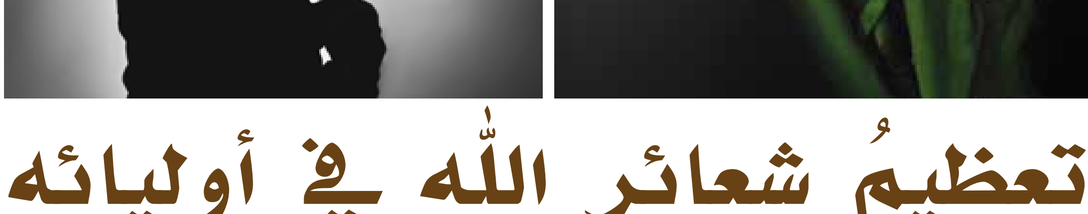
لكن هل يسعى كل البشر نحو ما يؤمنون به؟ هل يطبقون ما يعتقدون أن الموعود سيأتي لأجل تطبيقه؟

إنّ الله واحد والمعاد واحد والدين واحد وللدين دعوة مشتركة واحدة.

والمخلّص الموعود واحد عند الجميع، إلاّ أنّ الحكام والطغاة الذين يريدون السيطرة والتحكم بمقدرات المظلومين هم الذين كانوا دائماً أعداء لله ولأنبيائه ومبعوثيه عليهم السلام للضعاف والجهلة يضعون كل إمكاناتهم العسكرية والفكرية والاعلامية للإرهاب والتضليل والتشويه لإطفاء جذوة الحق ونور الهدى والسلام ودين التسليم له ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾. (التوبة:٣٢)

بقلم: حسن موسى





قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. (الحج:٣٢)

تحدّثت الآية الشريفة عن ثلاثة مفاهيم، وهي: شعائر الله، والتعظيم، التقوى)

الشعار – كما في كلمات اللّغويين – يطلق على العَلامة وما يستدلّ به على شيء معيّن، ومفردة (الشعيرة) تعني العلامة.

وفي التعبيرات الحديثة، تطلق كلمة (الشعار) ويُقصد بها: العنوان الذي يرفعه الإنسان مُنطلَقاً لسلوكه مع الآخرين، أو ما يعبّر عن نهجه في حياته وعمله، فهو الذي يدلّ على قصده وهدفه.

والآية القرآنية تخبر بأنّ لله تعالى شعائر وشعارات منتسبة له تعالى، فهي – بذلك – تكون أموراً عظيمة ومقدّسة لا يجوز التفريط فيها أو التهاون في التعامل معها.

ولذلك أطلق لنا القرآن الكريم حكماً واضحاً، وهو تعظيم هذه الشعائر التي جعلها الله تعالى بمشيئته دلالات عليه وعلى توحيده ودينه وشرعه وطاعته وعبادته.

فإنّ التعظيم سلوك خارجي وعملي، وهو ينطلق من أمرين:

البُعد الأول: المعرفي

ويعني سلوك التعظيم والتقديس الذي ينطلق من إدراك العظمة والقدسية المحيطة بذلك الشيء.

ومن هنا فإنّ الجاهل لا يستطيع أن يعظّم الشيء الذي يستحقّ التعظيم وإن أظهر ذلك؛ لأنّ سلوكه مبني على الجهل والوهم.

وهذا بمعنى أنّ فهم وجه العظمة هو المحفّز الذي يدفع الإنسان لممارسة سلوك التعظيم والاحترام وإظهار القداسة لهذا الشيء.

لكن هناك سؤالاً يرد وهو أنّه كيف يمكن لنا أن نقدّس شعائر الله ونعظّمها؟

الجواب: إنّ السبيل لذلك هو العلم والمعرفة بها، وهذا ما نفهمه من الحديث المروي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو يوصي الإمام عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «يا علي، ركعتان يصلّيهما العالم أفضل من ألف ركعة يصلّيها العابد». (الوافي:٢٦/١٧٨)

والسرّ في ذلك أنّ عبادة العالم وصلاته قد انطلقت من أساس المعرفة والعلم، فهي عبادة واعية وفاعلة في النفس والروح، وهذا الأفضلية منبثقة من الأثر الذي تتركه صلاة العالم في نفسه وسلوكه؛ لأنّ العلم الصحيح يدعو إلى العمل. بينما صلاة العابد تكون مقبولة لكنّها محدودة ومقيّدة في إطار الحركات والفعل الخارجي.

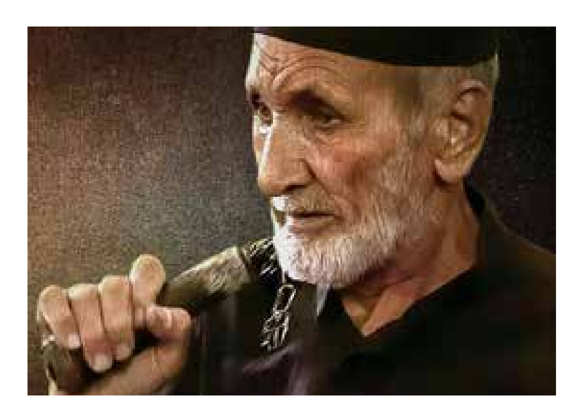
إذاً، نحن مدّعوون لمعرفة شعائر الله والإحاطة بها؛ كي نؤدّي واجب التعظيم، وهذا ما نحتاج فيه للرّجوع إلى الشارع نفسه لنأخذ منه علاماته التي نصَبها لنا؛ لتكون مورد تعظيمنا وتقديسنا.

وقد بيّن الله في القرآن الكريم بعض مصاديق هذه الشعائر؛ كالصفا، والمروة، وهما ما يشاهدهما الحاجّ في أداء فريضة الحجّ، فهما جزء من الشعائر.

والعنوان الأشمل للشعائر هو كلّ ما دعا الله تعالى إليه في شرعه ودينه ودلّ عليه: «إنّ شعائر الله تشمل جميع الأعمال الدينية التي تذكّر الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعظمته، وإنّ إقامة هذه الأعمال دليل على تقوى القلوب». (الأمثل في

تفسير القرآن:١٠/٣٤٤)

لذلك، تكون أحكام الله تعالى من الحلال والحرام من شعائره التي أوجب علينا الالتزام بها، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.(الحج:٣٠)



كما أنّ أنبياء الله ورسله عليهم السلام من علامات الله التي تدلّ على دينه وطاعته، فهم مقدّسون ومعظّمون في نفوس المؤمنين، ولهذا قال الله في كتابه: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.(البقرة:٢٨٥)

فقد عُلّق دعاء المؤمنين في المغفرة على الإيمان بالله تعالى والملائكة والكتب والرّسل (صلوات الله عليهم أجمعين)؛ لأنّ الإيمان بذلك هو سبب الطاعة والمغفرة.

ومن قوله تعالى عن أهل البيت (عليهم السلام): ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.(الشورى:٢٣)

وكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.(الأحزاب:٣٣)

فنفهم أنّ الله تعالى قد أوجب علينا تعظيمهم وتقديسهم وإظهار شأنهم؛ لأنّه تعالى بيّن أنّه طهّرهم، ونسبهم إلى البيت، وهو ليس بيت أحد من الناس، بل هو بيته تعالى الذي وضعه قبلة لعبادته وتوحيده وتقديسه، وآل محمد آل البيت وأهله، فهم حرّاس توحيد الله القائمون على تقديسه وعبادته وطاعته، ومن أراد تقديساً لله تعالى وبيته فليأتِ عن طريقهم، فإنّ مَن عظّمهم فقد عظّم بيت الله وآياته وقبلته، ومَن قدّسهم فقد قدّس شرع الله ودينه.

البُعد الثاني: السلوك النفسي

وهو إظهار التعظيم بعد الاستشعار بتلك الشعائر وإدراكها نفسياً ووجداناً، فإنّ التعظيم معناه إظهار الانجذاب والانبهار والتفاعل مع الشيء المقدّس، فهو انجذاب الروح وانصياعها أمام العظمة، وهي لله تعالى أوّلاً، ولكلّ ما ينتسب إليه جلّ وعلا ثانياً.

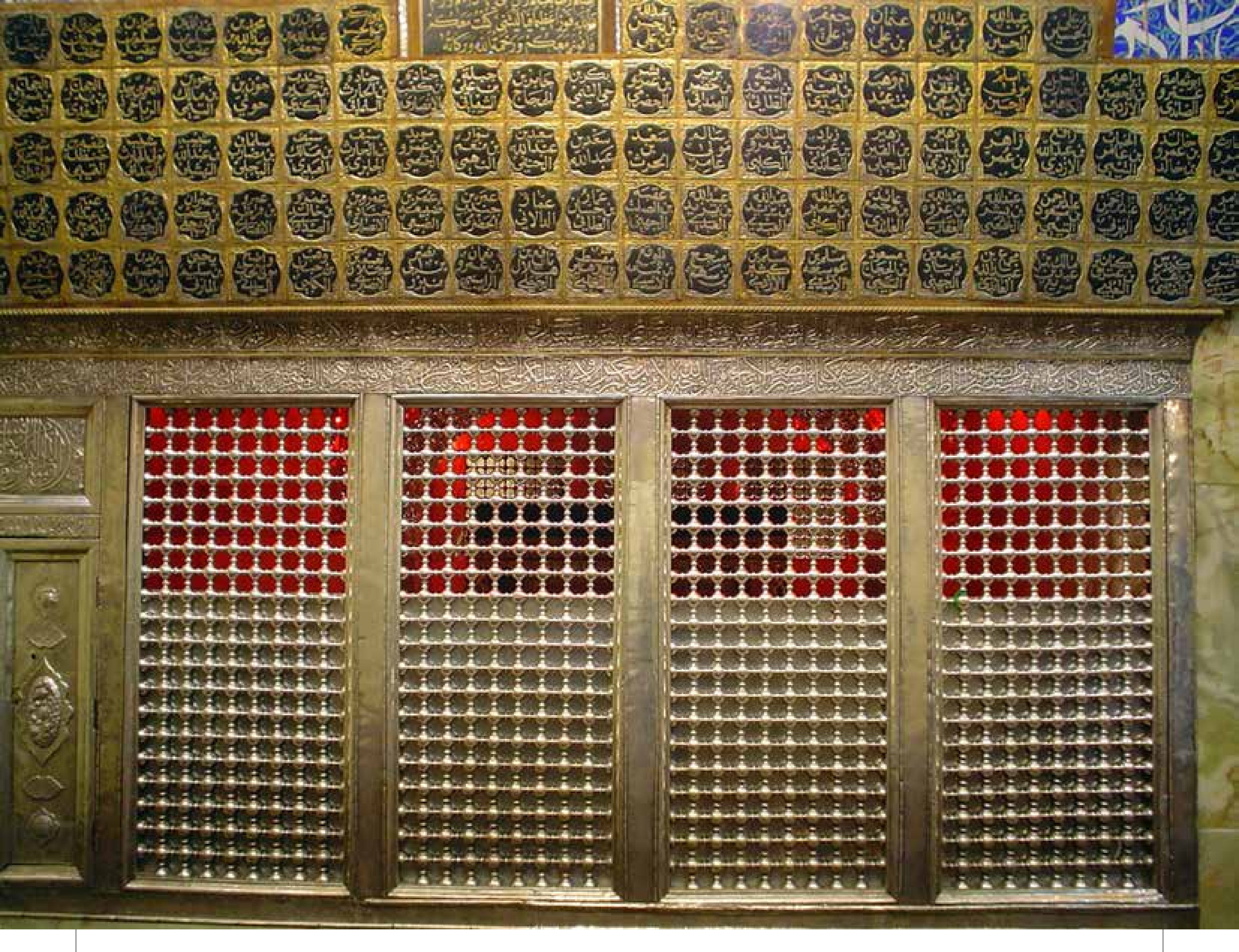
إنّ تطبيق هذا السلوك وإظهار التعظيم يمكن إبرازه في إحياء المناسبات المتعلّقة بأهل البيت (عليهم السلام)، فهم أوضح وأجلى مصاديق شعائر الله، ولا بأس بأنْ نغتنم الفرص في ذلك لاسيما في أيّام شهر رجب الأصب، إذ تطلّ علينا فيها رحمة الله الواسعة بمجموعة من المناسبات المتعلّقة بأئمّة الهدى (عليهم السلام).

والذي ينبغي في هذا المضمار أنّ يقوم المؤمنون بتعظيم وتقديس جميع هذه الشعائر وإعطاء كلّ شعيرة ومناسبة حقّها دون الاهتمام ببعضها وإهمال البعض الآخر، أو إحياء جانب منها وترك جانب آخر؛ لأنّه خلاف واجبنا في إحياء أمر أهل البيت ومعرفة حقّهم وواجبهم على المسلمين والمؤمنين.



إنّ إحياء هذه الشعائر الإلهية عملية اجتماعية وفردية، فإنّ أغلب المناسبات تقوم على الحضور الجمعي في المساجد أو الحُسينيّات أو المراكز أو البيوت، ومن هنا نرى أنّ الواجب على الآباء حثّ الأبناء وتربيتهم على الحضور الدائم والمتواصل في هذه المناسبات المقدّسة؛ لأنّ تشكيل الشعور النفسي والروحي تجاه هذه الشعائر الإلهية أعظم ما يمكن أن نقوم به في ربط أبنائنا بأئمّتهم وقادتهم (عليهم السلام).

بقلم: الشيخ عبد الجليل المكراني



أصحاب الحسين عليه السلام تماثل الحالات وتشابه الأدوار

ولم يترك أولئك المشفقون عليه، والحاسدون حسيناً إلاّ أن يبذلوا له مشورتهم.. محاولين حبسه عن الانصراف حتّى حين.. ولم يخفِ محمّد ابن الحنفيّة خوفه عليه، وتوجّسه من رحلته هذه، فقال مخاطباً أخاه الحسين عليه السلام: (عرفت غدر أهل الكوفة بأبيك وأخيك، وإنّي أخاف أن يكون حالك حال مَن مضى، فأقم هنا، فإنّك أعزّ مَن في الحرم وأمنعه).

فقال الحسين عليه السلام: «أخاف أن يغتالني يزيد ابن معاوية في الحرم، فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت».

فأشار عليه ابن الحنفيّة بالذهاب إلى اليمن، أو بعض نواحي البرّ، فوعده أبو عبد الله في النظر في هذا الرأي...

ولم يسع الحسين إلاّ أن يعد هؤلاء خيراً.. ويردّهم بما يحمدُ لهم شفقتهم عليه.. ولم يجد الحسين بدّاً من عدم الإفضاء بكلّ ما يتحسّسه في دواخله من وجوب الخروج من مكّة، فإنّ أولئك المشفقين لا يمتلكون ما يمتلكه الحسين من ضرورة التحرّك وحتميّة الخروج وتنجيز التكليف.. وهؤلاء الحاسدون لا يشعرون إلاّ بالانقباض عمّا سينجزه إصرار الحسين من حتميّة (النصر) بعد حتميّة الخروج، ومن رفض (النصح) بعد رفض البيعة.. ولا معنى أن ينشغل أبو عبد الله عليه السلام بالردّ على هؤلاء أو محاولة إقناعهم، فإنّ الذي هو فيه من هموم الاستعداد للسفر غداً كافٍ لئن

ينشغل بمناقشة نصائح القوم.

ويصله كتاب عبد الله بن جعفر الطيّار صهره وابن عمّه، الذي لا يفتأ من النصح له والحرص عليه، بما توقّعه عبد الله من عاقبة الخروج، وما سيؤول له مصير الحسين وآل الحسين بسبب احتمال نكوص القوم وخذلانهم له، وما سيفقده الهاشميّون بفقد شيخهم وسيّدهم ونورهم وهداهم، فكتب إليه:

(أمّا بعد، فإنّي أسألك الله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإنّي مشفقٌ عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم أطفئ نور الأرض، فإنّك عَلَمُ المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير.. فإنّي في أثر كتابي، والسلام).

ولم يكتفِ عبد الله بالنصح، حتّى استدلّ على مخاوفه من الوجهة التي سيسلكها أبو عبد الله عليه السلام، والمصير الذي يختاره، حتّى شفعَ ذلك بكتاب أمان للحسين جاء به من عامل يزيد على مكّة، عمرو بن سعيد ابن العاص.

وما الذي دعى عبد الله بن جعفر أن يلجأ إلى عامل يزيد سوى حرصه على الحسين وآله، وليت لعبد الله بصيرة الحسين ليقرأ ما يقرأه الحسين من مصير الدين وعاقبة الأمّة بعد بيعة يزيد، وما الذي وراء أمان عمرو بن سعيد غير البيعة ليزيد، وما الذي أخرج الحسين من مدينته غير رفض البيعة ليزيد، وكأنّ الذي أرّقَ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عبّاس وأمثالهما إقناع الحسين بالعدول عن مصيره حصولهم الأمان له، وفاتَ أولئك أنّ بني أميّة أحرى بهم أن يأخذوا الأمان ممَنْ بخروجه يزلزل آل أبي سفيان من عروشهم، ويهدّ كيانهم، ويؤول بهم إلى لعنة التاريخ وسبة الدهر، وهم الذين بالأمس استجدوا الأمان يوم الفتح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعاشوا بفضل منّته عليهم حينما أطلقهم وآمنهم.

ولم يكد ابن الحنفيّة يصدّق ما رفضه الحسين من عرض الأمان عليه حتّى يعترضه قبل خروجه بما يفرغُ عمّا يختزنه قلبه المرتجف الوجِل من المصير المحتوم، فإنّ ابن عبّاس يتقهقر بنظرته الفاحصة لتاريخ مضى من غدرٍ وخذلان، ودعةٍ ونكوص، انطوت عليها أسارير قوم أبيه وجيش أخيه، وهم اليوم يكتبون له ليعيدوا سوْءتهم التي لم يسترها زمانٌ قصيرٌ مضى على حروبٍ ثلاث: صفّين، والجمل، والنهروان، وما ألجأ أخاه الحسن عليه السلام ليقبل الصلح على مضضٍ ممّا فعله جيشه وأهل رعيّته ليسلموه عند الوثبة، ويدعوه إلى مهازلِ الدهرِ فيتصالح مع ابن أبي سفيان حقناً لدماء المسلمين بسبب غدر الغادرين، ولوم العاذلين.

قال ابن عبّاس: (يا بن العمّ، إنّي أتصبّر وما أصبر، وأتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنّ أهل العراق قوم غدرٍ، فلا تقربنّهم، أقم في هذا البلد فإنّك لسيّد أهل الحجاز، وأهل العراق إن كانوا يريدونك ـ كما زعموا ـ فلينفوا عاملهم وعدوّهم، ثم أقدِم عليهم، فإن أبيت إلاّ أن تخرج فسر إلى اليمن، فإنّ بها حصوناً وشِعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك فيها شيعة، وأنت عن النّاس في عزلة، فتكتب إلى النّاس، وترسل، وتبثّ دعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ فيه عافية).

فقال الحسين عليه السلام: «يا بن العمّ، إنّي والله لأعلم أنّك ناصح مشفق، وقد أزمعت على المسير». فقال ابن عبّاس: (إن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فإنّي لخائف أن تُقتل وهم ينظرون إليك). فقال الحسين عليه السلام: «والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط عليهم من يذلّهم حتّى يكون أذلّ من فرام المرأة».

وما الذي يأمله ابن عبّاس من الحسين أن يجيبه غير هذا وأمثاله، فإنّه ليقرأ ماضياً، والحسين يقرأ مستقبلاً.. وإنّه يُعيد تاريخاً وهو يصنع مصيراً.. وشتّان بين من يقدّر الظروف، وبين من يترقّب يومه الموعود، ومصيره المحتوم.

أمّا ابن عبّاس فلا تزال مشاهد الغدر والنكوص تعلق في ذاكرته العريضة بما تحمله من خواطر ألم، ومواقف خذلان، وهو أمرٌ يوجب خشيته ووجله من المصير القادم المضرّج بدماء حسينٍ عليه السلام وآل حسين عليهم السلام.

ولم يقتصر على الهاشميّين وحدهم، بل شاطرتهم



بذلك نساء البيت النبويّ، وكان لأمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة جهد حثيث في إثناء الحسين عن سفره هذا.. عواطف أمّ، وهواجس مشفق، يرنّ في ذاكرتها قول مؤلم، ومشهدٌ حزين، لا يفارقها يوم أن سمعته صلى الله عليه وآله وسلم في مجلسه وهو ينظر إلى ولده الحسين، مختنقاً بعبرته، باكياً حزيناً، ثمّ هو يُنبئها عن المأساة التي أثارت شجونه، وأبكت فؤاده العطوف.. ولم تكد أمّ سلمة أن تنتظر نبوءة السماء تخبرها بقتل الحسين عليه السلام، ولم تصطبر أن يأتيها عزمه على السفر الطويل الذي لا لقاء بعده، حتّى أجهشت بالبكاء، وتوسّلت إليه بالعدول قائلةً: (لا تحزنني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك رسول الله يقول: «يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء». وعندي تربتك في قارورة دفعها إليَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم). فقال الحسين عليه السلام: «يا أمّاه، وأنا أعلم أنّي مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً، وقد شاء عزّ وجلّ أن يرى حرمي ورهطي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً».

قالت أمّ سلمة: (واعجباً، فأنّى تذهب وأنت مقتول؟!).

قال عليه السلام: «يا أمّاه، إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً، وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد، وما من الموت ـ والله ـ بدّ، وإنّي لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها، كما أعرفك، وأنظر إليها كما أنظر إليك، وإن أحببت يا أمّاه أن اريك مضجعي ومكان أصحابي».

فطلبت منه ذلك، فأراها تربة أصحابه، ثمّ أعطاها من تلك التربة، وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة، فإذا رأتها تفور دماً تيقّنت قتله! وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القارورة فإذا هي تفور دماً.(مقتل الحسين للمقرم:١٣٦)

ولم يزل عمر الأطرف ابن أمير المؤمنين تتدافع إليه أخبار القافلة العازمة على المسير، وتتوارد إليه أنباء الخروج، والحسين عليه السلام لا محالة عازم على فراق مدينة جدّه وأبيه غداً، أو بعد غد، ولا يُثنيه إشفاق المحبّين، ولا يوقفه تساؤل الحاسدين عن عزمة قلبٍ كبير أيقن بحتميّة الخروج والمسير إلى حيث أرادت له السماء من خلود، ولم يُدلِ عمر الأطرف برأيه حتّى وجد عزماً لا يثنيه رجاء، وإرادةً لا يمنعها اعتراض المعترضين من ناصحين، أو مشفقين، أو عاذلين، أو حاسدين، تدفعهم سذاجة الفهم للأحداث، أو سطحيّة المعرفة في التكليف، وهم يختلفون اليوم مع الحسين ـ في أحسن الأحوال ـ على توقيت المسير، أو إرجائه إلى حين.. ولم يجد الحسين عليه السلام بدّاً من سماع آراء الناصحين، أو تهويل المرجفين، وليس الاستماع إلى ما يدلونه من آراءٍ تجتهدُ بها قراؤهم، وتُدلي بها أهواؤهم بغير علمٍ ولا هدىً مبين.

بقلم: السيد محمد علي الحلو





نبدأ من الله وننتهي إليه

- نور قبرك بضياء الصالحات.. فإنّ كل صخب النور في الدنيا، لا يستطيع أن ينقل إليك بصيصاً من الضياء هناك.

- محاولة اكتشاف الله تعالى عبر رحلة التصوف، تنتهي إلى وضع الذات في موضع الله، أو نكران وجوده بالمرة.

- قيمة التوبة أن تأتي مع القدرة على المعصية، وإلاّ فإنّ كل فساق الأرض، وطغاتها يتضرعون إلى الرب بالمغفرة، عندما تدق بهم ساعة الحقيقة.

- قال: من أين نبدأ؟

قلت: من الله.. قال: إلى أين ننتهي؟

قلت: إلى الله.. قال: وبينهما بماذا ننشغل؟

قلت: بالله.. قال: أترى أنّ في ذلك ضمانة لدخول الجنة؟

قلت: ذلك إذا شاء الله.

- ليس من يسقط من سفينة فضائية خارج الجاذبية، فيضيع في فراغ السماوات حتى الأبد، بأسوأ حالاً من الذي يعيش على الأرض، وهو لا يعرف من أين جاء؟ وإلى أين يمشي؟ وماذا يراد منه؟

- كل شيء في النهاية يذهب مع الريح.. حسان الوجوه.. وحسان الأصوات.. وحسان الأعمال.. وكذلك أقبح الوجوه. وأقبح الأصوات.. وأقبح الأعمال.. ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. (الرحمن:٢٧)

- قال: إنّ الله تعالى هو الملجأ الأخير.

قلت: والملجأ الأول، والوسط، وما بينهما، فأية لحظة يمكنك أن تستغني فيها عنه!؟ أعندما تكون غنيّاً، أم عندما تكون فقيراً؟ وعندما تكون حاكماً، أم عندما تكون محكوماً؟ ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾. (الأنعام:١٠٠)

بقلم: محمد كاظم هادي



الإمام السجاد عليه السلام ورسـالـة الحقـوق

ترك الإمام السجاد عليها لسلام شيئاً مهماً جداً لكل الأجيال وهي (رسالة الحقوق)، هذه الرسالة العظيمة التي يتحدث فيها الإمام عن حقوق الناس، وعن ثقافة الحقوق قبل أن يتحدث العالم عن وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م بمئات السنين مما يوضح لنا الرؤية العميقة للإمام السجاد عن حقوق الإنسان.

وتعد رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام من أهم الآثار التي وصلت إلينا بعد الصحيفة السجادية، حيث يبين فيها الإمام وظائف الإنسان وواجباته تجاه الله سبحانه وتعالى، وتجاه نفسه والآخرين، وقد ذكرها ابن شعبة الحراني في كتابه (تحف العقول) وهي عبارة عن خمسين حقاً وعلى رواية الشيخ الصدوق في كتابه (الخصال) واحد وخمسين حقاً.

فإن الإمام السجاد عليه السلام يعد مؤسساً لثقافة حقوق الإنسان، فهو أول من وضع رسالة لحقوق الإنسان قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، وذلك لإدراكه أهمية احترام الناس بعضهم البعض، وأنها تشكّل المنطلق لبناء نظام اجتماعي متماسك، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وضمان سلامة العلاقات الفردية والاجتماعية في إطار من الاحترام المتبادل، والتسامح تجاه الآخر، والقبول بالرأي المخالف.

فمن المهم جداً إدراج مادة لـ(حقوق الإنسان) في مناهج التعليم، وذلك لنشر ثقافة الحقوق بين الطلاب، وما يمكن أن يتركه ذلك من آثار إيجابية على السلوك الفردي والاجتماعي، بما يؤسس لثقافة التسامح واللين في التعامل مع الرأي المخالف.

أما غياب ثقافة احترام الآخرين في معرفة حقوقهم يؤدي إلى شيوع التعصب والتشدد والتطرف، في حين أن معرفة حقوق الذات، فضلاً عن حقوق الآخر يؤدي إلى سيادة القانون، ونمو ثقافة الاحترام والتكريم للإنسان، تطبيقاً لقوله تعالى، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾؛ فالآية الشريفة تشير إلى تكريم الإنسان بغض النظر عن دينه أو مذهبه أو قوميته أو لونه أو عرقه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. (الإسراء:٧٠)

إن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بيّن للناس حقوق الإنسان بعد واقعة الطف التي

انتهكت فيها أبسط الحقوق الإنسانية فضلاً عن تعاليم الإسلام وأحكامه.

وتأتي أهمية رسالة الحقوق للإمام السجاد باعتبارها أسبق وثيقة تحدثت عن حقوق الإنسان، في حين أن أقدم الوثائق الدولية التي صدرت عن حقوق الإنسان لا تزيد عن قرنين من الزمن.

إذ إنّ أهم ما صدر من وثائق عن حقوق الإنسان، وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ (١٠/١٢/١٩٤٨م)، وكان هذا الإعلان قد اقتبس قواعده من إعلان الثورة الفرنسية - التي حدثت عام (١٧٨٩م) - لحقوق الإنسان، واعترافها بالحقوق الطبيعية للأفراد.

وقد امتازت وثيقة (رسالة الحقوق) للإمام السجاد بأنها تطرّقت إلى حقوق أكثر مما هو مدون في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ إذ اشتملت رسالة الحقوق على خمسين حقاً، وفي رواية أخرى على واحد وخمسين حقاً، في حين أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لم يتجاوز ٢٩ مادة، كما أشارت رسالة الإمام الحقوقية إلى حقوق تجاهلتها الوثائق الدولية لحقوق الإنسان، كحق الله سبحانه وتعالى بالنسبة لعبده، وهي أكبر الحقوق؛ بل أصلها.

ثم أشار الإمام السجاد عليه السلام إلى حقوق الإنسان المفروضة من الله تعالى تجاه نفس الإنسان، وأنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال رؤية الإسلام لذلك.

ويمكن تقسيم حقوق الإنسان الرئيسة التي أشار إليها الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في رسالته الحقوقية ضمن المحاور التالية:

١. حق الخالق وحق المخلوق (حق الله، وحق النفس).

٢. حقوق الأعضاء: كـ(حق اللسان، حق السمع، حق البصر، حق اليد، حق الرجل، حق البطن،حق الفرج).

٣. حقوق الأفعال. وتشمل هذه الحقوق ما يلي: (حق الصلاة، حق الحج، حق الصوم، حق الصدقة، حق الهدي).

٤. حقوق الأئمة: وتشمل هذه الحقوق ما يلي: (حق السلطان، حق سائسك بالعلم، حق سائسك بالملك).

٥. حقوق الرعية: وتشمل حقوق الرعية الأصناف التالية: (حق رعيتك بالسلطان، حق رعيتك بالعلم، حق الزوجة، حق المملوك).

٦. حقوق الرحم: وتشمل حقوق الرحم الأصناف التالية: (حق الأم، حق الأب، حق الولد، حق الأخ، حق مولاك المنعم عليك، حق مولاك الذي أنعمت عليه).

٧. حقوق عامة الناس والأشياء: وتشمل هذه الحقوق٢٤ حقاً منها: (حق المؤذن، حق إمام الجماعة، حق الجليس، حق الصاحب، حق الخليط، حق الشريك، حق الكبير، حق الصغير، حق أهل الإسلام، حق أهل الذمة.... وغيرها من الحقوق العامة).

ونلاحظ أن الإمام السجاد عليه السلام قد ختم رسالته الحقوقية بحقوق أهل الإسلام، وإن اختلفوا في مذاهبهم وآرائهم ومرجعياتهم الفكرية، فلكل مسلم أن يمارس عباداته وشعائره ومعتقداته بحسب مذهبه.

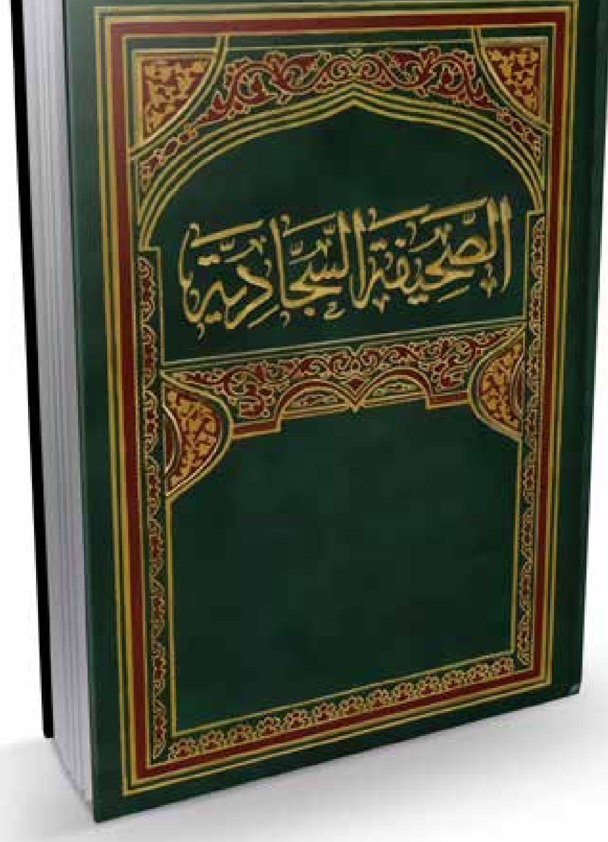
ثم بحقوق من يشترك مع الإنسان في الأرض الواحدة والنظام السياسي الواحد، وإن اختلف معهم في الدين، لكنهم يشتركون في الإنسانية، وفي النظام السياسي الواحد، فلهم حقوق المواطنة، ولهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، دون أن يدعوا المسلمين إليها.

ولهم الحرية في إجراء مراسيم عباداتهم، كما أن لهم أن يعملوا حسب شريعتهم في عقودهم وطلاقهم... وغيرها من الأحوال الشخصية؛ يقول الإمام عليه السلام: «وحق أهل الذمة: أن تقبل منهم ما قبل الله عز وجل، ولا تظلمهم ما وفوا لله عز وجل بعهده».

وتشكل هذه الرسالة الحقوقية وثيقة تاريخية أكثر من مهمة وهي بحاجة للمزيد من الدراسة والتحليل، وفيها دلالة عميقة على تقدم فكر أهل البيت ومنهجهم الرباني.

فإن علينا أن نستفيد من رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بأن نعطي اهتماماً أكبر بمسألة حقوق الناس، ونعمل على نشر ثقافة الحقوق بين الناس، حتى يعلم كل شخص حقوقه وواجباته الفردية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية بما يحقق العدالة الاجتماعية للجميع.

بقلم: الشيخ عبدالله اليوسف



زبــور آل محمد عليهم الســلام

الصحيفة السجادية: هي من ذخائر التراث الإسلامي، ومن مناجم المباحث البلاغية والأخلاقية والتربوية والأدبية في الإسلام ونظراً لأهميتها فقد سماها كبار رجال الفكر والعلم، بأخت القرآن وإنجيل أهل البيت وزبور آل محمد. (الذريعة في تصانيف الشيعة:١٥/١٨)

ومما زاد في أهميتها أنها جاءت في عصر طغت فيه الأحداث الرهيبة في السياسة التي أحالت حياة المسلمين إلى جحيم مظلم ليس فيه أي بصيص نور من هدي الإسلام وإشراقه، فالتكتل الحزبي والسياسي الذي سعى وراءه أصحاب المصالح والأطماع الشخصية حيث اختفى أي ظل لروحانية الإسلام وتعاليمه السمحة وآدابه الإنسانية وحكمه الخالدة.

لقد فتح الإمام زين العابدين عليه السلام بالصحيفة السجادية آفاقاً جديدة للوعي الديني، كان المسلمون قد فقدوه، ودعت إلى التبتل الروحي والصفاء النفسي والطهارة والتجرد من الأنانية ونبذ الجشع والطمع وغير ذلك من الرذائل والنزعات الشريرة التي نهى عنها الإسلام.

كما دعت الصحيفة إلى الاتصال بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة ومصدر الخير والحق والجمال سبحانه وتعالى أحسن الخالقين.

من الامتيازات

تمتاز الصحيفة السجادية بأمور بالغة الأهمية ومميزات عديدة، من بينها ما يلي:

١. تمثل الانقطاع الكامل لله تعالى والاعتصام بحبله والتجرد التام من عالم المادة.

٢. لقد كشفت عن معرفة كاملة يتمتع بها الإمام تفيد عن عمق ارتباطه بالواحد القهار، ولم يكن ذلك ناشئاً عن عاطفة عابرة أو تقليد قديم، وإنما هو قائم على العلم اليقين والعرفان الأكيد، بل هو الإمامة بالحق وفي يده الولاية التكوينية والتشريعية وقد أدلى عليه السلام في صحيفته هذه بكثير من البحوث الكلامية التي انتهل منها علماء الكلام والفلاسفة المسلمون في ما كتبوه عن واجد الوجود.

٣. احتوت على كمال الخضوع أمام الله تعالى، وبذلك قد امتازت عن بقية أدعية الأئمة الطاهرين بما فيها من أفانين التضرعات وإظهار التذلل لله تعالى؛ قال الفاضل الأصفهاني: (إن الله تعالى قد خص كل واحد منهم بمزية وخصوصية لا توجد في غيره، كالشجاعة في أمير المؤمنين وابنه الحسين عليهما السلام والرقة والتفجع في أدعية زين

العابدين عليه السلام لاسيما أدعية الصحيفة الكاملة، المعروفة بين أصحابنا الامامية بزبور آل محمد، وأخرى بإنجيل أهل البيت). (الصحيفة الخامسة السجادية:١٤)

٤. لقد فتحت أبواب الأمل والرجاء برحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء؛ فالإنسان مهما كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه لا ينبغي له أن يقنط من رحمة الله تعالى، وعفوه وكرمه.

يقول الإمام عليه السلام: «إلهي وعزتك وجلالك، لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك...».

٥. أكثر ما ورد من أدعية في الصحيفة برامج للأخلاق الروحية وآداب السلوك والفضائل النفسية التي يسمو بها الإنسان عن عالم المادة.

٦. احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفة في عصره، منها قوله عليه السلام: « اللهم وامزج مياههم بالوباء وأطعمتهم بالأدواء...».

لقد أشار هنا عليه السلام إلى حقيقة علمية اكتشفت في العصور الأخيرة، وهي أن جراثيم الوباء المعروفة بـ(الكوليرا) إنما تأتي عن طريق الماء، فهو الذي يتلوث بجراثيمها كما أن جراثيم هذا الوباء تنتقل إلى الأطعمة فإذا أكلها الإنسان وهي ملوثة بتلك الجراثيم فإنه يصاب بهذا الداء؛ هذه الحقيقة لم تعرف إلا في هذا العصر.

٧. إنها تمثل فلسفة الدعاء الذي هو معراج المؤمن إلى الله والبالغ به إلى أرقى مراتب الكمال، إذ ليس شيء في هذه الحياة ما هو أسمى من الاتصال بالله تعالى خالق الكون، وواهب الحياة إلى النفوس الحائرة التي تشعر بالطمأنينة بعد القلق، وبالأمل بعد القنوط، إنّ الدعاء الخالص ليسمو بالإنسان إلى عالم الملكوت.

٨. تعتبر الصحيفة السجادية ثورة على الفساد والانحلال الذي كان سائداً في ذلك العصر بسبب السياسة الأموية التي أشاعت المجون والفساد والتحلل بين المسلمين؛ فجاءت الصحيفة ثورة على الجمود والتخلف والانحطاط في العصر الأموي.

٩. لقد بلغت أرقى مراتب الفصاحة والبلاغة في اللغة العربية، فلا نجد كلاماً عربياً بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة ما هو أبلغ وأفصح من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام.

قال الدكتور حسين محفوظ: (وعلى الرغم من أنه – الدعاء – المأثور عن الأئمة نثر فني رائع، وأسلوب ناصع من أجناس المنثور، ونمط بديع من أفانين التعبير، وطرق بارعة من أنواع البيان، ومسلك معجب من فنون الكلام، والحق أنّ ذلك النهج العبقري المعجز من بلاغات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام التي لم يرق إليها غير طيرهم، ولم تتسم إليها سوى أقلامهم؛ فالدعاء أدب جميل، وحديث مبارك، ولغة غنية، ودين قيم، وبلاغة عبقرية، إلهية المسحة، نبوية العبقة...)(مجلة البلاغ: العدد السادس، السنة الأولى:٥٦).

وقد اهتمت الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية اهتماماً بالغاً بالصحيفة السجادية، فقد واظب جميع العلماء المسلمين الصالحين على الدعاء بها في غلس الليل وفي وضح النهار متضرعين بها إلى الله تعالى.

ولم تقتصر على العالم العربي فقط وإنما تعدت إلى غيره من شعوب العالم فترجمت إلى أكثر اللغات الأجنبية، كالفرنسية والإنكليزية والفارسية والألمانية وغيرها.

ومما يدل على مدى أهميتها أن الخطاطين في مختلف العصور الإسلامية انبروا إلى كتابتها بخط أثري في منتهى الروعة وقد حفلت بها الكثير من خزائن المخطوطات الإسلامية.

كما عكف العلماء على دراسة الصحيفة وإيضاح مقاصدها وشرحها.

والعلماء الذين قاموا بهذه المهمة زاد عددهم على السبعين عالماً.

كل ذلك لأنهم وجدوا في الصحيفة نموذجاً فريداً يستفيد منه كل أديب وباحث فقد كان البارز فيها جمال الأسلوب وروعة الديباجة ورقة الألفاظ وارتياح روحي يبلسم النفوس الحائرة والقلوب الضالة.

ومن مظاهر الروعة البلاغية فيها الأطناب والإيجاز حيث تدعو الحاجة.

فقد أطنب عليه السلام في وصف الجنة وما فيها من نعم وترف، وقصور جميلة كل ذلك بسبب تشويق الناس إليها وترغيبهم بأعمال البر والخير ليفوزوا بنعيمها.

كما أطنب في التهويل من النار وقساوة العذاب وذلك لزجر الناس عن اقتراف الموبقات وإبعادهم عن ارتكاب المنكرات.

وهو بهذا يجاري أسلوب القرآن الكريم، وقد نص علماء البلاغة على أن الأطناب في ذلك من أرقى مراتب البلاغة وأروع صورها.

بقلم: الدكتور حسين الحاج حسن